وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور – الجلفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

المؤرخ أبو القاسم سعد الله

وقضايا التاريخ الوطني

(1969-2013م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبة:

خولة قاسمي الحسني

إشراف الأستاذ الدكتور:

هزرشي بن جلول

الموسم الجامعي: 2025_2026/ 1446_1447 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

إلى من علّمنا أن طالب العلم لا يثنيه بعد المسافة، ولا يوهنه خواء الجيب، ولا يرهبه ضباب المستقبل،إلى روح الدكتور أبي القاسم سعد الله الذي كان وحده رجلا بأمة.

إلى والديّ الكريمين أحمد ناصر وعائشة، وإخوتي الأعزاء، أهدي هذا العمل.

شكر وعرفان:

أتقدم بما يليق من ثناء وعرفان، إلى الأستاذ المشرف الدكتور هزرشي بن جلول على توجيهاته القيمة، ومتابعته الدقيقة، فكان لملاحظاته الأثر البالغ في تقويم مسار هذا البحث وإثراء مضمونه.

كما أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة الموقرة على جهودها في تقييم هذا البحث، وإلى أساتذة قسم التاريخ على ما يبذلونه من مجهودات.

قائمة المختصرات(Liste des Abréviations)

1- باللغة العربية:

الأصل	الاختصار
ص	صفحة
ص – ص	صفحات
ط	طبعة
ج	جزء
تر	ترجمة

2- باللغة الأجنبية:

الأصل	الاختصار
P	Page
P - P	Pages
Traductiont	TR
Édition	ED

مـــــــقدمـــــــــة

اتخذ الاحتلال الفرنسي في بسط سيطرته على الجزائر أبعادا فكرية وثقافية واضحة منذ بداياته (1830م). فقد أدركت الإدارة الاستعمارية مبكرا أن السيطرة على الأرض لا تكتمل دون التحكم في الذاكرة الجماعية، فسعت إلى إنشاء منظومة فكرية موازية للآلة العسكرية احتلت فيها الدراسات التاريخية موقعا بارزا، إذ عملت على كتابة تاريخ الجزائر وفق رؤيتها الخاصة بما يخدم مصالحها ويبرر وجودها من خلال تقديم صورة مزيفة عن الماضي الجزائري، و إضعاف مقوماته الحضارية، وفي مواجهة هذا الواقع برزت جهود مجموعة من المؤرخين الجزائريين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة استعادة التاريخ الوطني وإعادة كتابته من منظور جزائري أصيل، وكان في طليعتهم الدكتور أبو القاسم سعد الله، الذي تميز بعمق رؤيته ورصانة منهجه وغزارة إنتاجه، وقد كان تبنيه للكتابة التاريخية استجابة لدوافع فكرية ووطنية تحكمت فيها مؤثرات متعددة.

1-**دواعي اختيار الموضوع:** يمكن تقسيم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

أ- **الأسباب الذاتية:** يمكن حصرها في النقاط التالية:

- ✓ الرغبة في دراسة التاريخ بصورة أعمق من خلال فهم كيفية بنائه ونقده، وقد وجدت في مشروع أبي القاسم سعد الله نموذجا ثريا يتيح التعرف على الطريقة التي يتعامل بها المؤرخ مع المادة التاريخية، والمعايير التي يحكم من خلالها على الأحداث والوثائق والآراء.
- ✓ إدراك قدر المسؤولية العلمية أمام ما قدمه الدكتور أبو القاسم سعد الله لخدمة التاريخ الوطني، فمن يتناول مشروعه بالدراسة لا يملك إلا أن يحس بثقل هذه المسؤولية العلمية والوطنية، حيث أن مؤرخا أمضى عمره في الدفاع عن الهوية الجزائرية وإبراز دورها الحضاري يلقي على عاتق كل من يتناول فكره التزاما حقيقيا بالجدية والأمانة العلمية.

- ✓ الرغبة في استيعاب القضايا التاريخية الوطنية الكبرى من منظور سعد الله، إذ إن الاطلاع على هذه القضايا من خلال كتابات مؤرخ عايشها وأخضعها للتحليل المنهجي يتيح الوقوف على أبعاد ودلالات ربما ظلت غائبة عن القراءة المعتادة لها.

ب- **الأسباب الموضوعية:** يمكن رصدها في النقاط التالية:

- ✓ مكانة مؤلفات الدكتور سعد الله في المكتبة التاريخية الجزائرية، إذ لا تكاد دراسة تتناول تاريخ الجزائر أو قضية من قضاياه إلا وجدت في كتاباته مرجعا لا يمكن تجاوزه.
- ✓ تعدد الدراسات المتعلقة بسعد الله وتنوعها حيث حظي باهتمام أكاديمي واضح تجلّى في مقالات وأبحاث تناولت جوانب متعددة من فكره وإنتاجه، غير أن اقتصار معظمها على جانب بعينه جعل البحث في هذا الموضوع فرصة للاطلاع على صورة أشمل عن مشروعه العلمي من خلال منهجه وأبرز القضايا التي تناولها.

2-أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

أ- تقديم إضافة ولو بسيطة للدراسات المتعلقة بالقضايا التاريخية المطروحة، عبر عرض مواقف مؤرخ أكاديمي أمضى وقتا طويلا في دراستها والتأمل فيها، وإخضاعها للتحليل.

ب-الكشف عن الأسس التي قامت عليها الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة، الموجهة لخدمة التاريخ الوطني، ومواجهة أباطيل المدرسة التاريخية الفرنسية.

ج-إبراز دور المؤرخ الجزائري في مواجهة الطرح الاستعماري وبناء رواية وطنية بديلة تعيد كتابة التاريخ الجزائري برؤية وطنية.

3-حدود الدراسة:

ينحصر مجال الدراسة زمنيا من سنة 1969م، تاريخ صدور الجزء الثاني من كتاب (الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930) الذي كان موضوع أطروحة الدكتور أبي القاسم سعد الله للدكتوراه، وتنتهي بعام 2013م تاريخ وفاته، وهي مرحلة تميّزت بغزارة إنتاجه الفكري وتنوّع إسهاماته في معالجة قضايا التاريخ الوطني.

4-الإشكالية المطروحة:

تتمحور إشكالية البحث حول تحديد منهجية الدكتور أبي القاسم سعد الله في الكتابة التاريخية الوطنية، ورصد مواقفه من أبرز قضاياها، من خلال تتبع مسار تكوينه العلمي الذي أسهم في تشكيل رؤيته وتحديد معالم مشروعه الفكري، ومن هذا المنطلق، تتحدد إشكالية هذا البحث فيما يلي:

- كيف أسهمت نشأة الدكتور أبي القاسم سعد الله وتكوينه العلمي في تشكيل مساره الفكري وتحديد اهتمامه بالتاريخ الوطني؟
- كيف عالج أبو القاسم سعد الله إشكالية الكتابة التاريخية من حيث شروطها ومعيقاتها وخصائصها المنهجية؟
- ما هو موقف أبي القاسم سعد الله من القضايا التاريخية الوطنية التي تناولها في مؤلفاته؟

5-منهج الدراسة:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي في تتبع مراحل حياة أبي القاسم سعد الله حسب التسلسل الزمني، والمنهج التحليلي في عرض آرائه ومنهجه وتحليلها، سواء فيما يتعلق بمفهومه للكتابة التاريخية، وشروطها، ومعيقاتها، أو فيما يخص مواقفه من بعض القضايا التاريخية.

6-مصادر البحث:

اعتمدت في إنجاز هذه المذكرة على صنفين من المصادر والمراجع، يتمثل الصنف الأول في مؤلفات الدكتور أبي القاسم سعد الله بوصفها مصادر أولية، وفي مقدمتها كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي) في جزئه الأول، و(قضايا شائكة)، و(منطلقات فكرية)، و(حوارات)، فضلا عن بقية كتبه التي استندت إليها في مواضع متفرقة، أما الصنف الثاني فيشمل الدراسات والكتب المتعلقة بشخصيته وفكره، ومن أبرزها كتاب مراد وزناجي (مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله)، و(حديث صريح مع أ.د أبو القاسم سعد الله)، وأطروحة الدكتوراه للباحثة مريم خالدي ويضاف إلى ذلك مقالات علمية متخصصة لعدد من الباحثين أمثال خالد بلعربي والطاهر بونابي وسمير مزرعي، وهي مقالات تتضمن قراءات نقدية متنوعة أثرت البحث وفتحت آفاقا تحليلية مفيدة.

7-الخطة المعتمدة في الدراسة:

للإجابة على الإشكالية المطروحة تم تقسيم العمل إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة للمصادر والمراجع على النحو التالي:

تطرقت في الفصل الأول إلى ترجمة لشخصية المؤرخ أبي القاسم سعد الله تتبعت فيها سيرته من نشأة وتكوين علمي إلى غاية وفاته، ثم أدرجت إسهاماته العلمية.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة منهجية الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله قسمته إلى ثلاثة عناصر: العنصر الأول: مفهوم الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله ودواعي اهتمامه بها، والعوامل التي أثرت في خطابه التاريخي، والعنصر الثاني تمثل في تبيان شروطه للكتابة التاريخية والمعيقات التي أخرت ظهور تاريخ جزائري مستقل، وفي العنصر الثالث تناولت خصوصية منهج الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله، من خلال بيان تشكل رؤيته التاريخية وتطورها، والأسس التي اعتمدها في كتابة التاريخ، إضافة إلى الأدوات المنهجية التي وظفها، وأبرز السمات التي ميّزت كتاباته وأسلوبه في العرض والتحليل.

وفي الفصل الثالث تطرقت إلى مواقفه من أبرز القضايا التاريخية متتبعة موقفه من الوجود العثماني، ومن كتابات المدرسة الاستعمارية، ومن كتابة تاريخ الثورة، وأخيرا من الأمازيغية.

وفي الأخير خاتمة تضمنت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

8-صعوبات البحث:

اعترضتني أثناء الفترة المخصصة لإنجاز المذكرة مجموعة من الصعوبات يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

أ- غزارة إنتاج أبي القاسم سعد الله وتنوعه مما جعل الإحاطة بمؤلفاته أمرا يستلزم قراءة واسعة وانتقاء دقيقا لما يخدم موضوع البحث.

ب-كثرة القضايا الوطنية التي عالجها المؤرخ أبو القاسم سعد الله في مؤلفاته مما حتم ضرورة الاقتصار على أبرزها، مع إدراكي أن ذلك قد لا يوفي الموضوع حقه من الشمولية.

ج-تعدد الدراسات المتعلقة بسعد الله وتنوعها، إذ حظي باهتمام أكاديمي واضح تجلى في مقالات وأبحاث تناولت جوانب متعددة من فكره وإنتاجه، غير أن اقتصار معظمها على جانب بعينه دفعني إلى محاولة الجمع بين منهجه وأبرز القضايا التاريخية التي تناولها.

غير أن هذه الدراسة تظل محاولة متواضعة لا تدعي الإحاطة الشاملة بموضوع بهذا الثراء والعمق، بل تطمح في حدود إمكاناتها إلى تسليط الضوء على بعض جوانبه، مع إدراكي التام أن غنى هذا الموضوع وثراءه يتجاوزان بكثير ما أمكن تناوله في هذا البحث.

الفصل الأول:

المؤرخ أبو القاسم سعد الله حياته وإسهاماته العلمية.

الفصل الأول: المؤرخ أبو القاسم سعد الله حياته وإسهاماته العلمية.

أولا: مولده ونشأته.

1-اسمه ونسبه.

2-نشأته.

3-وفاته.

ثانيا: تكوينه العلمي.

1-التعليم القرآني.

2-رحلته العلمية إلى الزيتونة.

3-العودة إلى الوطن والتوجه نحو القاهرة.

4-رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

5-العودة إلى الجزائر والالتحاق بالجامعة.

رابعا:نشاطاته وإسهاماته العلمية.

1-مساره المهني والإداري.

2-مشاركاته العلمية.

3-مؤلفاته.

الفصل الأول: المؤرخ أبو القاسم سعد الله حياته وإسهاماته العلمية:

يعد أبو القاسم سعد الله من أبرز المؤرخين الجزائريين المعاصرين، وقد كان لنشأته في بيئة صحراوية بسيطة بوادي سوف ومساره التكويني الطويل الأثر الأكبر في صياغة شخصيته العلمية، التي تنوعت اهتماماتها لتشمل التأريخ والأدب والنقد والترجمة، فكان بذلك من أكثر المؤرخين إسهاما في إثراء المعرفة التاريخية الجزائرية وترسيخها على المستويين الوطني والعربي.

أولا: مولده ونشأته:

1- اسمه ونسبه:

اسمه هو: بلقاسم سعد الله بن أحمد بن محمد بن سعد بن مبارك بن علي جحيدر[1]، وهو نسب يمتد عبر أجيال متعاقبة في منطقة وادي سوف، واختار لنفسه كنية (أبو القاسم) اقتداء بكنية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فوقع بها مؤلفاته ومقالاته، وقد استخدم في بداياته الأدبية اسم (القماري)[2] نسبة إلى مدينة قمار[3] التي نشأ فيها.

ينتمي من جهة أبيه أحمد المولود حوالي سنة 1896م إلى عرش أولاد عبد القادر، ومن جهة والدته العبيدية هالي بنت الأخضر بن مبارك بن سالم إلى عرش أولاد بوعافية، وقد ترك والده من الأولاد على التوالي: (البشير والطاهر ومحمد والصادق وبلقاسم وعلي وإبراهيم وعمر

[1] أبو القاسم سعد الله، **حياتي**،دار عالم المعرفة - الجزائر،2015، ص 15.

[2] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ.د.أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، ط1، منشورات الحبر- الجزائر، 2008،ص 68.

[3] قمار: إحدى مدن ولاية وادي سوف تقع في الجهة الشرقية الغربية منها وتبعد عنها بحوالي 15 كم، أنظر: حسونة عبد العزيز، "عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف، مدينة قمار نموذجا" **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية** العدد،22، 2015 ص،132.

المدعو إسماعيل وأبو بكر المدعو خالد، بالإضافة إلى ثلاث بنات عشن بعده، وله أبناء وأولاد توفوا أثناء حياته).[1]

2- نشأته:

ولد أبو القاسم سعد الله في منطقة تسمى البدوع قرب مدينة قمار بولاية وادي سوف، وهي بيئة صحراوية مفتوحة تشتهر بغراسة النخيل وزراعة التبغ، واحتضانها للطرق الصوفية، وترحيبها المبكر بالحركة الإصلاحية.[2]

تتباين المصادر في تحديد سنة ولادته، وهو نفسه يرجح أنه وُلد حوالي عام 1930م[3]،وهو العام الذي شهد صيفا شديد الحرارة وأعمال ترميم في الجامع الكبير بقمار، في حين تُشير وثائق الإدارة الفرنسية إلى عام 1927م.

ولعل هذا التباين في التواريخ ليس مستغربا إذا استحضرنا الواقع الذي كانت تعيشه المناطق الريفية في ظل الاستعمار، فقد كانت عملية تسجيل المواليد وتلقيب الأسر جزءا من مسار استعماري ممنهج يهدف إلى محو هوية الشعب الجزائري، بدأ في المناطق الشمالية سنة 1882م ولم يصل إلى منطقة وادي سوف إلا سنة 1934[4]م، أي بعد أربع سنوات من ميلاده، وهو ما يفسر عدم دقة التاريخ المسجل في وثائق الإدارة الفرنسية.

نشأ في أسرة كبيرة تمتهن الفلاحة، وعاش طفولة قاسية تركت في ذاكرته آثارا عميقة، فقد اقتصر غذاء الفرد الواحد إبان الحرب العالمية الثانية على خمس تمرات يوميا بتنظيم من

[1] أبو القاسم سعد الله، **حياتي**، المصدر السابق، ص ص10، 11.

[2] مراد وزناجي، المرجع السابق، ،ص19.

[3] المرجع نفسه، ص16 .

[4] أبو القاسم سعد الله، **حياتي**، المصدر السابق، ص 16.

والده، وكان الفراش من الرمال، والظل من جريد النخل[1]، واعتمد في لباسه على الثياب القديمة التي يتوارثها الإخوة عن بعضهم، وكان أول قميص خاص به هدية بمناسبة ختمه القرآن الكريم، وكان لباسا عسكريا من مخلفات الحرب العالمية الثانية.[2]

وعلى الرغم من ضيق الحال، حرص والده أحمد المولود حوالي عام 1894م[3] على أن يتفرغ ابنه لطلب العلم وحفظ القرآن، وأعفاه من أعباء العمل الفلاحي، وكان يقول في ذلك: "وكان يقول لي دائما: لقد سبلتك (أي وقفتك أو حبستك) في سبيل العلم وكان يعيد علي ما يسمعه عني من الناس كلما لقي أحدا من الجيران أو في السوق من أنني أحسن الأولاد الذين ثبتوا في القراءة"[4]، وفي هذه الكلمات ما يدل على أن الأب كان يرى في تعليم ابنه أولوية تفوق كل اعتبار.

وكان لرحيل هذا الأب وقع مؤلم في نفس أبي القاسم، إذ توفي في السابع عشر من نوفمبر 1957م، وكان ابنه آنذاك غائبا في المشرق منكبّا على استكمال دراسته، فلم يتمكن من توديعه ودفنه، وقد كان يحلم بالعودة إليه محملا بالشهادات العلمية التي طالما انتظرها منه، فخطفه الموت قبل أن يتحقق ذلك اللقاء.

وكانت الغربة قاسية عليه للمرة الثانية، حين فقد والدته العبيدية هالي وهو منكبٌّ على تحرير كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) في الولايات المتحدة الأمريكية، فلم يتمكن من توديعها.

---

[1] بوضرساية بوعزة، **موسوعة رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 102.

[2] مختار سالمي، أبو القاسم سعد الله، المؤرخ والمحقق والمترجم، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 23 العدد 1، 2022 ص، 160.

[3] أبو القاسم سعد الله، **حياتي**، المصدر السابق، ص20.

[4] المصدر نفسه، ص ص 59، 60.

بعد استقراره في الجزائر تزوج سنة 1969م من السيدة حفصة بنت عمر بن سالم المنحدرة من ولاية المسيلة، ورزق منها بابنه الوحيد أحمد تيمنا باسم والده.[1]

3- وفاته:

فارق أبو القاسم سعد الله الحياة صباح يوم السبت 14 ديسمبر 2013م بالمستشفى العسكري بعين النعجة،[2] عن عمر ناهز ثلاثة وثمانين عاما، آثر خلاله تلقي العلاج في بلده رافضا السفر إلى الخارج، وكانت آخر محطاته الصحية حين أصرّ على إتمام صيام شهر رمضان متجاوزا نصائح طبيبه، فأُصيب بوعكة حادة أُدخل على إثرها المستشفى ولم يغادره، وأوصى قبل رحيله بأن يُدفن في مسقط رأسه بقمار.

ثانيا: تكوينه العلمي

1- التعليم القرآني:

بدأ أبو القاسم سعد الله مسيرته التعليمية في سن الخامسة من عمره[3]، حين التحق بالمدرسة القرآنية بقريته على غرار أقرانه في تلك المرحلة، وكان هذا الأمر معهودا في قمار وسائر البلاد العربية الإسلامية، حيث يدخل الطفل الكُتّاب ليحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم ويتعلم مبادئ الدين، وقد دفعت الظروف المأساوية التي كانت تعيشها الجزائر تحت الاستعمار كثيرا من الأسر إلى هذا الخيار[4]، لأن السياسات الفرنسية في مجال التعليم أغلقت أمام أبناء الجزائر أبواب التعلم في المدارس الرسمية.

---

[1] مريم خالدي، "السيرة والمسيرة العلمية للدكتور أبو القاسم سعد الله"، **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد9، جوان 2016، ص ص 249-250.

[2] وفاة شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله، الشروق اليومي، 2013/12/14م.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، دار عالم المعرفة، الجزائر، ،2015ص 177.

[4] مراد وزناجي،المرجع السابق، ص19.

وكانت والدته حريصة على تحفيظه القرآن وتعليمه، اقتداء بأخيها الشيخ الحفناوي هالي[1] الذي حفظ القرآن وتخرج من جامع الزيتونة، وكانت أمنيتها أن يسلك ابنها المسار ذاته ويصبح من حملة العلم، وقد ذكر أبو القاسم أن والدته دعمته في مسيرة حفظ القرآن بجامع البدوع بقمار، ثم شجّعته على الدراسة بجامع الزيتونة تأسيا بأخيها، طامحة أن يصبح مثله عالما، مؤمنة بأن الله فتح عليها ليلة القدر وهو طفل فلم تسأل الله شيئا غير العلم الشريف،[2] وقد رسخت في نفسه هذه القناعة حتى عاش بها طوال حياته معتقدا أنه اختير لخدمة العلم ولم يخلق لغير هذه المهمة، وقدأتمّ أبو القاسم حفظ القرآن الكريم حوالي سنة 1944م، واحتفل به والده بذبح كبشين وجمع الناس في حفل بهيج تسامروا فيه على تلاوة القرآن وترديد المدائح الدينية[3]، وأهداه أول قميص خاص به كان لباسا عسكريا من مخلفات الحرب، وبعد أن كرّر الختم ثلاث مرات أصبح يَنوب عن شيخه في صلاة التراويح، وبقي على هذا الحال سنتين متتاليتين بين 1944م و1946م.

2- رحلته العلمية إلى الزيتونة: (1947-1954م):

بعد إتمام حفظ القرآن واستيعاب المبادئ الأولية للغة العربية وقواعد الشريعة، توجّهت نفسه نحو مواصلة التعلم، فكانت الوجهة جامع الزيتونة بتونس الذي كان قبلة طلاب العلم من الجزائر وحلما لكل راغب في التحصيل، وقد أسهمت عوامل عدة في تحفيزه على هذه الخطوة،

[1] الحفناوي هالي (1911-1965): من قمار بوادي سوف، تلقّى تعليمه في جامع الزيتونة بتونس، وعمل معلما وكاتبا صحفيا، وكان عضوا في لجنة تعليم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اعتقلته السلطات الفرنسية بسبب نشاطه الثوري، وبعد الاستقلال التحق بوزارة الأوقاف، إلى أن وافته المنية في حادث مرور عام 1965، انظر مولود عويمر، " الأوقاف وتنمية المجتمع"،جريدة البصائر،الجزائر، 2022-08-23.

[2] أبو القاسم سعد الله، **حياتي**، المصدر السابق، ص60.

[3] جبران لعرج، أبو القاسم سعد الله: الإنسان والباحث من خلال الشهادات، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، المجلد7، العدد02 ديسمبر 2016، ص 134.

أبرزها انتشار أفكار الحركة الإصلاحية في منطقة وادي سوف، لا سيما بعد زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس[1] للمنطقة سنة 1937م[2]، وما خلفته من أثر في نفوس أبنائها، إضافة إلى نموذج خاله الشيخ الحفناوي الذي كان حضوره العلمي دافعا له على السير في الطريق ذاته.

غير أن قرار السفر لم يكن يسيرا داخل الأسرة، حيث جرى جدال بين الأبوين حول إرساله، فالأم مصرّة على ذهابه لطلب العلم، والأب يرى معاملته كإخوته الذين احتاجهم في العمل، وقد كان للشيخ الطاهر التليلي[3]، صديق الوالد وعديله وأحد خريجي الزيتونة، دور في تغيير رأي الأب وإقناعه بالموافقة على سفر ابنه دون غيره من إخوته.

استعد أبو القاسم للرحيل سنة 1946م، إلا أن والده لم يتمكن من توفير مصاريف السفر في تلك السنة، فانتظر إلى حين اكتمالها، وأمضى فترة الانتظار في حفظ المتون الأساسية في النحو والصرف والفقه والعقائد استعدادا لاجتياز اختبار القبول، وفي سنة 1947م أُتيحت له الفرصة أخيرا، فسافر رفقة شباب من قمار سبقوه في الدراسة هناك، التحق بالزيتونة بمستوى

---

[1] عبد الحميد بن باديس: (1889–1940م): رائد الحركة الإصلاحية بالجزائر، ولد بمدينة قسنطينة، حفظ القرآن في الثالثة عشر من عمره ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس عام 1908، قصد الحج ثم دمشق ولبنان ليعود إلى الجزائر ويؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، انظر: عمار الطالبي،**آثار ابن باديس**، الشركة الجزائرية، الجزائر، المجلد1، ط3، 1997،ص ص72–75.

[2] بن الشيخ حكيم، "الدكتور أبو القاسم سعد لله رائد المدرسة التاريخية الجزائرية وباعثيها"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، العدد2، 2016، ص63.

[3] محمد الطاهر التليلي: هو من أبرز أعلام الفكر في منطقة وادي سوف والجزائر، تلقى تعليمه بجامع الزيتونة واشتغل بالتعليم والإمامة وقد ألف تراثا زاخرا تجاوز ثلاثين مؤلفا، انظر: فؤاد بن أحمد عطاء الله، "من أعلام الفكر في الجزائر: الشيخ الطاهر محمد التليلي -رحمه الله-" **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد 3، 2018، ص ص 141-149.

متواضع على حد تعبيره، وأجرى اختبارا صعبا مكنه من التسجيل في السنة الأولى، مشيرا إلى أنه حين وصل لم يكن يُحسن حتى تحرير رسالة.[1]

وكان التحاقه بالزيتونة أول تجربة له بأسلوب تعليمي حديث تُستخدم فيه السبورة بدلا من حلقات الذكر، فدرس الفقه والأصول والتوحيد والنحو والصرف والتاريخ والفيزياء والكيمياء والحساب. ولاحظ أن الدراسة بتونس كانت تُغلّب المواد الدينية والتاريخية والأدبية على المواد العلمية والقضايا المعاصرة.[2]

أمضى السنة الأولى في مدرسة صاحب الطابع بحي الحلفاوين، ثم قضى السنوات الست الباقية بجامع القصر في حي باب المنارة، حيث أشرف على إقامته قيّم المكان الذي وفّر له السكن والرعاية المادية طوال تلك السنوات، ولولا ذلك لما استطاع مواصلة دراسته بعيدا عن أسرته في أول غربة يعيشها.

وقد عاش في تونس ظروفا بالغة القسوة، إذ اضطر إلى العمل لتوفير قوت يومه، فكان يقوم في الصباح الباكر ليبيع الحليب ويوزعه على البيوت مقابل دريهمات يشتري بها طعاما لا يكفيه، وكان إذا تغدى نهارا لم يتعش ليلا، ورغم ذلك كله تحصّل على شهادة الأهلية سنة 1951م، ثم توج مسيرته بالحصول على شهادة التحصيل في نوفمبر 1954م بتقدير ممتاز وبالترتيب الثاني في دفعته[3]، وخلال هذه الفترة نجح في نشر أولى إبداعاته الشعرية وتجاربه القصصية في صحف تونسية كالزهرة والنهضة والأسبوع، وأسهم في نشاط البعثة الطلابية الزيتونية التي كان رئيسها، كما حرص خلال مكوثه بتونس على متابعة جريدة البصائر التي كان مشتركا فيها بواسطة والده، فنشر فيها مقاله الأول في العدد 165 الصادر في 30 جويلية

[1] مراد وزناجي، المرجع السابق، ص23.

[2] مريم خالدي، المرجع السابق، ص 254.

[3] جبران لعرج، المرجع السابق، ص 135.

1951م بعنوان (أمة المجد في الميدان)، وواصل الكتابة فيها بعد أن لقي تشجيعا من أصدقائه وأساتذته [1]ويُحدد أبو القاسم ثلاثة اتجاهات أثّرت في تكوينه خلال هذه المرحلة: التربية الدينية والأخلاقية التي تلقاها بالزيتونة، والتربية الوطنية عبر مشاركته في نشاط جمعية الطلبة الجزائريين منذ 1948م وقراءته لجريدة البصائر، والتربية الأدبية من خلال اطلاعه على إنتاج الشرق العربي[2].

3- العودة إلى الوطن والتوجه نحو القاهرة(1954-1960م):

عاد أبو القاسم سعد الله من تونس إلى الجزائر في التاسع عشر من نوفمبر 1954م، واستقر في مدينة الجزائر العاصمة حيث امتهن التدريس في مدارس الجمعية الحرة، فبدأ بمدرسة الثبات بالحراش ثم انتقل في نهاية مارس 1955م إلى مدرسة التهذيب بالعين الباردة بالأبيار حيث مكث إلى نهاية الموسم الدراسي في جوان من السنة ذاتها، وقد تمكن خلال هذه الفترة من توفير مبلغ مئة ألف فرنك من أجرته الشهرية البالغة سبعة عشر ألف فرنك، خصّصها لتمويل رحلته إلى المشرق.

ثم توجّه إلى تونس لاستخراج جواز سفره، فتمكن من ذلك بعد أن سجّل في وكالة الروضة للحج والسياحة، وفي شهر أوت من السنة نفسها، وسط أجواء هجومات الشمال القسنطيني، عاد إلى الجزائر للمشاركة في مسابقة التوظيف التي نظمتها جمعية العلماء المسلمين لالتحاق

[1] مولود عويمر، "بدايات الدكتور أبي القاسم سعد الله في عالم الصحافة، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد 4 (2015)، ص47.

[2] مريم خالدي، المرجع السابق، ص 256.

المعلمين بمدارسها الحرة، غير أنه وقبل ظهور النتائج وصلته برقية من تونس تخبره بأن جواز سفره جاهز، فاختار السفر على التدريس وانطلق نحو تونس ثم مصر.[1]

انتقل أبو القاسم سعد الله إلى مصر مرورا بتونس وليبيا التي مكث فيها ثلاثة أيام، ووصل إلى القاهرة في 24 سبتمبر 1955م، وقد وصف لحظة وصوله بأنه خرج من المطار لا يدري أين يتجه إذ لم يكن يعرف أحدا في تلك المدينة، فلم يكن معه سوى عنوان مكتب جمعية العلماء، فتوجّه إليه وطرق بابه بعد منتصف الليل فاستقبله الشيخ البشير الإبراهيمي[2] وبقي عنده خمسة عشر يوما بدأ خلالها مساعيه للدراسة في جو من الترقب والقلق[3].

واجه في البداية صعوبات عديدة أمام عملية التسجيل في إحدى الجامعات لتأخره عن موعد القبول، غير أنه نجح أخيرا في اجتياز امتحان القبول في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في الثاني عشر من ديسمبر 1955م، ويذكر أن حفظه القرآن وإنشاده أبياتا من قصيدته (الطين) أمام لجنة القبول كانا العاملَين الحاسمَين في قبوله[4].

---

[1] مصطفى عبيد، "النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد13 ، 2014، ص 234.

[2] البشير الإبراهيمي (1889-1965): أحد أبرز أعلام الفكر والجهاد الإصلاحي في الجزائر، وعالم لغوي وأديب فذ، لما بلغ الثانية والعشرين من عمره قصد المدينة المنورة فرارا من ويلات الاستعمار الفرنسي، وهناك التقى بالشيخ عبد الحميد بن باديس أين تطلعا لوضع أسس جمعية العلماء المسلمين، عاد إلى الجزائر عام 1920م وبدأ نشاطه الدعوي وفي عام 1931م، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ترك إرثا فكريا زاخرا منه، أسرار الضمائر العربية، التسمية بالمصدر، مجموع مقالاته في جريدة البصائر.. انظر:عادل نويهض، البشير الإبراهيمي، عظيم من الجزائر، **دار أبحاث**، ص ص 17-23.

[3] مراد وزناجي، المرجع السابق، ص 48.

[4] مصطفى عبيد المرجع السابق، ص 237.

استقر أبو القاسم في ضاحية المعادي بالقاهرة في غرفة مستقلة لم يعكر صفوه فيها سوى صوت القطار الذي كان يمر تحت نافذته فيوقظه ويُعرقل دراسته، وكان جدوله اليومي يقوم على رحلتين إلى القاهرة، الأولى صباحا للدراسة ثم يعود للطبخ والقيلولة، والثانية مساء للمشاركة في النشاط الطلابي وحضور دروس اللغات الأجنبية أو ارتياد السينما، أما في فترات الامتحانات فكان يعتكف في البيت للمذاكرة.

وكانت الحياة في القاهرة مليئة بالمصاعب التي كادت تبث في قلبه اليأس لولا صبره وعزيمته، ومن أبرز ما عاناه سوء الفهم الذي نشأ بينه وبين الشيخ الإبراهيمي في بداية إقامته عنده، حين أخرجه من مكتبه بطريقة مؤلمة، وقد أشار أبو القاسم في يومياته إلى أن تلك الحادثة لم تكن سوى انفعال عابر وكان الشيخ يمر في تلك الفترة بضغوط متعددة،[1] وأن علاقته به توطّدت بعدها، وعلى الصعيد المادي، كانت المنحة التي توفرها الحكومة المصرية والبالغة خمسة جنيهات شهريا إلى جانب إعانة السكن غير كافية لتغطية مصاريفه، فكان يكتفي أحيانا بوجبات خفيفة رخيصة، أو يأكل طعاما مضى عليه ثلاثة أيام لعدم توفر وسائل للتبريد، وكان إذا دعاه أحد لاحتساء القهوة أشبعها بالسكر ليستمد منها الطاقة.[2]

ورغم كل هذه الظروف، حرص على تنظيم وقته وتسخيره للبحث والدراسة والمطالعة، وكان من أنشط الطلبة وأقدرهم على الكتابة، وكان حاضرا في النشاطات الداعمة للثورة الجزائرية، فتردّد على مقر جمعية الشبان المسلمين الذي كان يحتضن الشعراء والأدباء، وبمناسبة الذكرى الثالثة للثورة في الأول من نوفمبر 1957م، نظّم مكتب جبهة التحرير الوطني

[1] مريم خالدي، المرجع السابق، ص 260.

[2] المرجع نفسه، ص261.

احتفالا بالمركز ذاته، ألقى فيه قصيدة بعنوان (شعارات)[1]،وقد أثمرت جهوده في جويلية 1959[2]م بحصوله على شهادة الليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية، كما تحصّل بالموازاة مع دراسته الجامعية على دبلوم الصحافة سنة 1957م[3].

ومنذ حصوله على شهادة الليسانس سنة 1959م بدأ أبو القاسم سعد الله في التحضير للحصول على منحة دراسية في الخارج، وحين تقدّم بطلبه لأول مرة اشترط عليه ذكر ثلاثة بلدان على الأقل، فاختار بريطانيا وسويسرا وألمانيا، متجنّبا فرنسا لأن الجزائر كانت في حالة حرب معها، غير أن اتحاد الطلبة الجزائريين الذي كان مقره في سويسرا ردّ على طلبه بملاحظة مفادها أنه غير مؤهل للدراسة خارج البلاد العربية، مستندا إلى أن شهادته في اللغة العربية والعلوم الإسلامية لا تتلاءم مع دراسة الآداب الأجنبية بلغة البلد المختار.

وقد أثار هذا الرفض ردود فعل غاضبة في أوساط الطلبة بالقاهرة وعلى مستوى المسؤولين في وزارة الثقافة بالحكومة المؤقتة، ولم تكن تلك الردود دفاعا عن شخصه بقدر ما كانت تعبيرا عن الحساسية بين رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي والاتحاد الذي كان يُسيّره الطلبة الدارسون بالفرنسية.[4]

وبعد تخرجه تقدّم بثلاثة مطالب في نفس الوقت إلى وزارة الثقافة، التدريس في إحدى البلاد العربية، أو الدراسة في الخارج، أو مواصلة الماجستير بالقاهرة، ولأن رغبته في استكمال الدراسة كانت أقوى من رغبته في التدريس، سجّل في مكانين في آن واحد، في كلية دار العلوم

---

[1] مولود عويمر، نشاط الطالب أبو القاسم سعد الله في مصر والولايات المتحدة الأمريكية (1955م-1962م)، البصائر 2018-05-22، https://elbassair.dz/2888/

[2] مراد وزناجي، المرجع السابق، ص81.

[3] أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط2، 2005، ص 49.

[4] أبو القاسم سعد الله، ، **حياتي**، المصدر السابق، ص 248.

تخصص أدب حيث أنجز دراسة حول شعر محمد العيد آل خليفة بعنوان (محمد العيد: رائد الشعر الجزائري)، وفي معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية تخصص الأدب والنقد، وقبل أن يُناقش رسالته وصلته برقية تُخبره بحصوله على منحة للدراسة في أمريكا، فترك الرسالة مخطوطة عند الشيخ الإبراهيمي الذي تولى كتابة تصدير لها وطبعها لدى دار المعارف بالقاهرة.

4- رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية (1960-1967):

لم يكن الطريق إلى أمريكا يسيرا فقد رُفض طلبه للحصول على منحة للدراسة في الخارج في البداية بحجة عدم أهليته، وكان هذا الرفض صدمة لزملائه الطلبة في فرع القاهرة الذين كانوا يعتبرونه من أنجح الطلبة[1]، وقد أثار الأمر ضجة واسعة في الأوساط الطلابية حول احتكار المنح لصالح طلاب أوروبا، وكان ذلك من العوامل التي أفضت لاحقا إلى نقل مقر الاتحاد الطلابي من لوزان إلى تونس، وفي أكتوبر 1960م جاء الرد بالقبول على طلبه، وكانت المنحة وفق تعبيره استثناء لإرضاء تيار الطلاب الدارسين بالعربية وتفادي أي انشقاق على أساس ثقافي.

ثم سافر في الثلاثين من نوفمبر 1960م إلى الولايات المتحدة في أول رحلة له خارج البلاد العربية، وكانت اللغة أول التحديات التي واجهها، غير أنه تمكن من تعلم الإنجليزية وإتقانها في نحو ثلاثة أشهر ونصف، في حين كانت المدة المقررة ستة أشهر على الأقل.

سجّل في جامعة منيسوتا في ربيع سنة 1961، بقسم التاريخ وبدأ العمل تحت إشراف الأستاذ هارولد سي دويتش[2]، قضى فيها حوالي خمس سنوات، حصل خلالها على شهادة

[1] مراد وزناجي، المرجع السابق، ص 59.

[2] هارولد سي دويتش: أستاذ فخري للتاريخ في جامعة مينيسوتا، وعضو في الهيئة التدريسية المدنية بكلية الحرب الوطنية في العاصمة واشنطن وقد شغل رئيس فرع البحث والتحليل التابع لمكتب الخدمات الاستراتيجية في باريس وألمانيا خلال الفترة الممتدة بين عامي 1944و1945، انظر:

الماجيستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962، وما إن تحصل على شهادة الدكتوراه سنة 1965 حتى كان قد أتقن قراءة كل من الفرنسية والألمانية.[1]

وابتداءً من سنة 1964م اتفق أبو القاسم سعد الله مع مشرفه على موضوع أطروحته المتعلق بالحركة الوطنية الجزائرية، وكان لهذا الاختيار أسباب عديدة، أولها ظروف الجزائر وثورتها وبحثه عن هويتها التاريخية، وهي أفكار كانت تشغل تفكيره منذ أوائل الخمسينات، وثانيها دراسته للحركات القومية في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر والحركات الوطنية في إندونيسيا والهند وتركيا والبلاد العربية، مما أتاح له أدوات مقارنة واسعة، أما ثالثها فكان جهله بتاريخ الجزائر الذي لم يدرسه في أي مرحلة تعليمية، إذ لم يكن يعرف عنه سوى ما استقاه من بعض الكتب المحدودة وموضوعات جريدة البصائر، وهو ما دفعه إلى العزم على سد هذه الفجوة بنفسه.

وقد حاول في دراسته الخروج عن المنهج التقليدي السائد، لأن الرواية الفرنسية التي كان ينقل عنها غيرها كانت تُرجع بداية الحركة الوطنية الجزائرية إلى ظهور الأمير خالد ونجم شمال أفريقيا، في حين أثبت البحث والدراسة أن الشعور الوطني نشأ في الواقع كرد فعل مباشر على الاحتلال، وظل يتجلى في أشكال متعددة رغم القمع إلى أن تبلور بصورة واضحة في أعقاب الحرب العالمية الأولى.[2]

اعتمد في إعداد الأطروحة على مراجع بالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية، مستفيدا من غنى مكتبات جامعة منيسوتا، ومستجلبا مصادر إضافية من الجزائر

Deutsch, Harold C., Hitler and His Generals: The Hidden Crisis, January–June 1938, University of Minnesota Press, Minneapolis, 1974, (notice biographique de l'auteur, quatrième de couverture)

[1] أبو القاسم سعد الله،، **منطلقات فكرية**، المصدر السابق، ص 50.

[2] أبو القاسم سعد الله، **حياتي**، المصدر السابق، ص ص 329- 330.

وفرنسا، وانتهى من الكتابة في جويلية 1965م، وجرت مناقشته في العشرين من سبتمبر من السنة ذاتها أمام لجنة من خمسة أساتذة متخصصين، واستغرقت المناقشة نحو ثلاث ساعات خرج منها بشهادة الدكتوراه.[1]

وبذلك أسدل أبو القاسم سعد الله الستار على مرحلة الطلب التي امتدت قرابة عشرين عاما، قطع فيها قارات وتجرّع مرارة الغربة والفاقة، ليعود إلى الجزائر حاملا رصيدا علميا غنيا سيشكل منطلق مساره الأكاديمي الكبير.

5- العودة إلى الجزائر والالتحاق بالجامعة (1967-1968م):

بعد حصوله على الدكتوراه سنة 1965م، كان من المفترض أن يعود أبو القاسم سعد الله فور إلى الجزائر، إلا أن أوضاعها السياسية المضطربة إثر انقلاب جوان 1965م دفعته إلى تأجيل العودة، فاستثمر التأشيرة الأمريكية التي تُتيح له التدريس لسنتين، فعمل أستاذا مساعدا بجامعة أوكلير بين 1965م و1967م، وحين انتهت المدة المقررة رفض تجديد العقد رغم إلحاح الجامعة عليه، ممتثلا لتعهداته بالعودة إلى الوطن.[2]

عاد في أكتوبر 1967م ليُدرّس في جامعة الجزائر الوحيدة آنذاك، فاصطدم بعقبة معادلة شهادته التي لم تكن الجامعة تعترف إلا بالشهادات الفرنسية، وكانت الشهادات الأخرى تُصنَّف في أحسن الأحوال في مستوى دكتوراه الحلقة الثالثة.

خاض أبو القاسم معركة شاقة للاعتراف بشهادته، وقد عرض عليه المسؤولون تسميات دون مستواه العلمي فرفضها جميعا، وقبل مؤقتا بدرجة مكلّف بالتدريس حتى تُحسم قضية

[1] أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، المصدر السابق، ص ص 54-55.

[2] مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، إشراف الدكتور إبراهيم لونيسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس بلعباس، 2017-2018 ص 133.

المعادلة، دون أن يستلم راتبه طوال تسعة أشهر، وبقي بلا مسكن لائق طيلة تلك الفترة، وفي أكتوبر 1968م جاء الاعتراف الرسمي بشهادته ومنح لقب (أستاذ محاضر) الذي لا يُمنح إلا لحاملي دكتوراه الدولة، بعد نحو سنة كاملة من الضغوط والمعاناة[1].

وحين استقر في منصبه حرص على نقل ما اكتسبه من التجربة الأمريكية في البحث العلمي إلى طلابه، فطبّق أساليب حديثة في التدريس، وشارك في النشاط الأكاديمي العام من محاضرات ولجان وأعمال إدارية، ساعيا إلى بناء جامعة جزائرية وطنية تؤمن بالثقافة والهوية العربية الإسلامية.

ثالثا: نشاطاته وإسهاماته العلمية:

1-مساره المهني والإداري:

جمعت مسيرة أبي القاسم سعد الله الأكاديمية بين التدريس الجامعي وجملة من المناصب والنشاطات التي أسهم من خلالها في إثراء الحياة العلمية والثقافية في الجزائر وخارجها:

أ- على المستوى الوطني:

تقلّد أبو القاسم سعد الله جملة من المناصب والمهام داخل الجامعة الجزائرية، فدرّس بها منذ 1967م وترأس قسم التاريخ بين 1969م و1971م، ووكالة كلية الآداب بين 1968م و1972م، ووكالة كلية الآداب بين 1968م و1972م، وعلى صعيد اللجان العلمية، كان عضوا في لجنة إصلاح التعليم العالي بين 1972م و1974م، وترأس لجنة العلوم الإنسانية لمعادلة الشهادات الأجنبية ولجنة ترقية الأساتذة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية بين 1990م و1993م، كما تولى رئاسة المجلس العلمي لمعهد التاريخ بالجزائر في سنوات متفرقة بين 1972م و1993م، وكان عضوا في المجلس الوطني للبحث العلمي سنة 1992م، وقد نشّط

[1] مريم خالدي، الدكتور أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، المرجع السابق، ص 134.

ندوة الأساتذة الثقافية بجامعة الجزائر سنة 1967م و1968م، وأشرف على عدد كبير من رسائل الدكتوراه والماجستير وشارك في مناقشاتها[1].

2- على المستوى العربي:

امتد نشاطه خارج الجزائر ليشمل جامعات ومؤسسات عربية ودولية عديدة، حيث بعث من وزارة التعليم العالي الجزائرية إلى جامعات مصر وسوريا والعراق لتوظيف الأساتذة، ومثّل جامعة الجزائر في مؤتمر اتحاد الجامعات العربية بالكويت سنة 1971م، ودرّس في معهد البحوث والدراسات العربية بمصر سنوات 1970م و1975م و1989م، وفي جامعة عين شمس سنة 1976م، وجامعة دمشق سنة 1977م، وجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية سنة 1985م، وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ 1989م، وفي مجمع اللغة العربية بدمشق منذ 1990م، كما أسهم في إعداد موسوعة العلماء العرب والمسلمين التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتولى تحرير مجلدها الخامس ضمن الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية منذ 1998م، فضلا عن عضويته في مجلس البحث العلمي لجامعة آل البيت بالأردن منذ العام ذاته، وعضويته في هيئة تحرير مجلة المنارة المحكمة بين 1997م و2002م، وإشرافه على أطروحات من الجامعة الإسلامية في لندن.

3- في الولايات المتحدة الأمريكية:

[1] الحاج عيفة، السيرة الذاتية لشيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله، **مجلة دراسات تاريخية**، العدد 4، 2015، ص 14.

درّس في جامعة ميشيغان في دورات سنوية متواصلة بين 1987م و1988م، وبجامعة منيسوتا[1] بين 1994م و1996م وسنة 2001م، ودرّس في جامعة سان دياغو بكاليفورنيا سنتي 2007م و2011م.

2-مشاركاته العلمية:

- محاضرة عن الثورة الجزائرية في ذكراها الثالثة، في نادي طلبة المغرب العربي بالقاهرة، نوفمبر 1957م.
- محاضرة عن الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، بدعوة من اللجنة الثقافية لاتحاد طلبة المغرب العربي في القاهرة، في نادي طلبة المغرب العربي، مارس 1960م.
- محاضرة عن الجزائر والقومية العربية، جامعة الجزائر 1966م.[2]
- ندوة عن الثورة في العالم الثالث جامعة ويسكينس، أوكلير، أمريكا، 1967م.
- محاضرة في جامعة الجزائر عن النيقريتود أو الزنوجية، 1968م.
- اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1971م.
- اتحاد كتاب العرب، تونس، 1973م، 1990م.[3]
- تاريخ وحضارة المغرب العربي، تونس، 1974م.
- أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، تونس 1974م.
- الندوة العالمية الأولى لمصادر التاريخ، الجزيرة العربية، الرياض، 1977م.
- المؤتمر الأول لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية، الجزائر، 1981م.
- محاضرة في جامعة الجزائر، بمناسبة ذكرى الأمير عبد القادر، 4 ماي 1983م.

[1] محمد بليل، الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية، **مجلة دراسات تاريخية**، المجلد 3، العدد4، 2015، ص52.

[2] عسول فاطمة، حمزة حمادة، أبو القاسم سعد الله من السيرة الذاتية إلى المسيرة العلمية –وقفات وقراءات في أعمال أدبية مختارة– **مجلة الدراسات التاريخية** العدد11 ،2022، ص 137.

[3] عسول فاطمة، حمزة حمادة، المرجع السابق، ص، 138.

- الحياة الاجتماعية والثقافية للدولة العثمانية، تونس، 1986م.
- محاضرة عن العنصرية عند افتتاح السنة الدراسية الجامعية بالجزائر بدعوة من رئاسة الجامعة في 1986/10/05م.
- محاضرة عن تاريخ العلوم في الجزائر خلال العهد العثماني، المدرسة الوطنية العليا للأساتذة، ديسمبر، 1986م.[1]
- الذكرى الخمسينية لإنشاء نجم إفريقية الشمالية (أليس من المفروض: نجم شمال إفريقيا)، باريس، 1987م.
- ملتقى نجم شمال إفريقيا، بدعوة من المركز الثقافي الجزائري بباريس، فيفري، 1987م.
- محاضرة عن نظرة الأمريكيين إلى التاريخ الجزائري، جامعة الجزائر، ربيع 1987م.
- محاضرة في جامعة الجزائر عن قيمة التاريخ، بدعوة من قسم الفلسفة 1987/12/29م.
- محاضرة عن معنى التاريخ في جامعة الجزائر، 1987/12/29
- تاريخ الرياضيات العربية، الجزائر، 1988م.
- التراث الفلسطيني، القاهرة، 1989م.
- مؤتمرات المستشرقين الأمريكيين في سان فرانسيسكو، 1966م، ميشيغان، 1978م، كارولينا الشمالية، 1993م، أريزونا، 1994م.
- مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1989م.
- المؤتمر الثالث لتاريخ الرياضيات العربية، الجزائر، 1990م.
- محاضرة عن جمعية العلماء، والسياسة، في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة، 24 جانفي، 1990م.
- محاضرة عن إشكالية الكتابة التاريخية بجامعة الجزائر في 1990/4/2.
- الملتقى الثاني للثورة الجزائرية، باتنة، 11-14 نوفمبر 1990م.

[1] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص13

- ندوة أسبوع المغرب العربي، تنظيم رابطة الطلاب الإسلاميين بفرنسا باريس، 28 أكتوبر 1991م.
- محاضرة عن الجزائر في منتدى جامعة هاملين مينيابولس، أمريكا، 1994م.
- ندوة خير الدين باشا التونسي، تونس، 1995م.[1]
- محاضرة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في سمنار معهد لوثر مينيالوس، أمريكا، 1996م.
- محاضرة في سيمنار قسم التاريخ، جامعة آل البيت، نساء أوربيات في مواجهة مجتمع عربي، خريف 1996م.
- محاضرة في جامعة اليرموك بدعوة من قسم التاريخ عن الاستعمار والاندماج في الجزائر، شتاء 1996م.
- كيف تعلم الفرنسيون اللغة العربية في الجزائر، محاضرة في سيمنار قسم التاريخ، جامعة آل البيت، (الأردن)، خريف 1997م.[2]
- مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، 1997م.
- الملتقى الثقافي الثاني عن أدب السيرة والمذكرات في الأردن، جامعة آل البيت، ماي 1988م.
- ملتقى الدولة العثمانية، بدايات ونهايات، تنظيم جامعة آل البيت، سنة 1999م.
- الملتقى العماني الأول بإشراف جامعة آل البيت والسفارة العمانية في عمان سنة 2000م.

[1] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 13

[2] صالح بوسليم، رصد بيبليوغرافي لمسيرة الأستاذ أبو القاسم سعد الله، **الحوار المتوسطي**، العدد7 ،2014م ص 98.

- محاضرتان في مسقط (عمان) خلال رمضان 1422هـ/2001م، وزارة الأوقاف العمانية.[1]
- ملتقى الحركة الثقافية والفنية والإبداعية في الجزائر، تنظيم جامعة آل البيت والسفارة الجزائرية، بعمان، ماي 2001م[2]

3-مؤلفاته:

ترك أبو القاسم سعد الله رصيدا معرفيا ضخما تنوعت موضوعاته، وتوزع على مؤلفات ودراسات وترجمات، وتُعدّ مراجع أساسية لكل باحث في التاريخ الجزائري:

التحقيق :

1-تاريخ العدواني، تأليف محمد بن عمر العدواني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م.

2-حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تأليف الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا، ط2، الجزائر، 1982م.

3-رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، تأليف عبد الرزاق بن حمادوش، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1982م.

4-رسالة الغريب إلى الحبيب، تأليف أحمد بن أبي عصيدة البجائي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

5-مختارات من الشعر العربي، جمع المفتي أحمد بن عمار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

[1] صالح بوسليم، المرجع نفسه، ص 100.

[2] عسول فاطمة، حمزة حمادة، المرجع السابق، ص140.

6-منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تأليف عبد الكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م[1].

7-أعيان من المشارقة والمغاربة (تاريخ عبد الحميد بيك)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

8-إتحاف القارئ بسيرة خليفة بن حسن القماري، تأليف الشيخ الطاهر التليلي، إصدارات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007م[2].

9-رسائل في التراث والثقافة للشيخ المهدي البوعبدلي، للشيخ المهدي البوعبدلي، إصدارات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007م.

10- ديوان الدموع السوداء، نظم الشيخ محمد الطاهر التليلي، إصدار عالم المعرفة، 2012م.

الترجمة :

1-شعوب وقوميات، الجزائر، 1985، (Peoples and Nationalisms)[3]

2-الجزائر وأوروبا، جون ب. وولف (John B. Wolf)،الجزائر، 1986.[4]

3-الجزائر في العهد العثماني (Algiers Under the Turks).

[1] مختار سالمي، المرجع السابق، ص 169

[2] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 15

[3] أوكيل مصطفى باديس، دراسة في آراء وبعض مؤلفات أبو القاسم سعد الله، **مجلة عصور الجديدة**، العدد3-4 خريف2011 شتاء 2012، ص235.

[4] محمد شوشاني عبيدي، ترجمة العنوان عند سعد الله، **مجلة المترجم**، المجلد 12 العدد2، 2018، ص 97.

4- حياة الأمير عبد القادر، تأليف هنري تشرشل (CH.H. Churchill) ، الجزائر، تونس، 1982م (The Life of Abdelkader)[1].

5-مع الأمير عبد القادر في الونوغة، ترجمة رحلة أدريان بيربروجر وآخرين إلى معسكر الأمير في الونوغة وبرج حمزة، سنة 1838-1839، المركز الوطني لتاريخ الثورة، الجزائر، 2004

6-بحوث في تاريخ الجزائر في جامعات أمريكا... المركز الوطني د.ب.ح.و.ث. 54، الجزائر، 2004.

التاريخ :

1-تاريخ الجزائر الثقافي في 10 مجلدات.[2]

2-أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، في 5 أجزاء.[3]

3-الحركة الوطنية الجزائرية، في 4 أجزاء.

4-محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث.

5-خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرير.

6-بحوث في التاريخ العربي الإسلامي.[4]

---

[1] الدكتور أبو القاسم سعد الله، شيخ المؤرخين وقدوة الباحثين رحمه الله، https://guemar.org/أبو-القاسم-سعد-الله-شيخ-المؤرخ/

[2] محمد زاهي، أبو القاسم سعد الله ومساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد7 ديسمبر 2014، ص 85.

[3] محمد بليل، المرجع السابق، ص 54.

[4] جبران لعرج، المرجع السابق، ص 136.

7-مسار قلم (يوميات)، في 6 أجزاء.[1]

الأعلام:

1-رائد التجديد الإسلامي، ابن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م

2-شاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة، في عدة طبعات.

3-شيخ الإسلام داعية السلفية، عبد الكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

4-الطبيب الرحالة ابن حمادوش، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.

5-القاضي الأديب الشاذلي الفلسطيني (أليس القسنطيني؟) الشركة الوطنية الجزائر، 1984م.

الأعمال الفكرية والأدبية:

1-أفكار جامحة، الجزائر، 1988.

2-تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1986.

3-دراسات في الأدب الجزائري الحديث، عدة طبعات، أولها في دار الآداب، بيروت، 1966، وآخرها دار الرائد، بيروت-الجزائر، 2007.

4-الزمن الأخضر - ديوان سعد الله، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1985.

5-سعفة خضراء (قصص)، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1986.

[1] هلايلي حنيفي، التأريخ لمسار قلم: أبو القاسم سعد الله مؤرخا لعلاقة التفاوت والتاريخ من خلال المذكرات والاعترافات، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد 7، 2014 ص37.

في الجدل الثقافي، دار المعارف، تونس، 1993.

6-قضايا شائكة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.

7-منطلقات فكرية ، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982.[1]

8-هموم حضارية، دار الأمة، الجزائر، 1993.

9-حوارات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

10-مجادلة الآخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.

11-خارج السرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

بعض المقالات:

1-المترجمون الجزائريون وإفريقيا، بحث نشر في مجلة الثقافة، العدد 113، 1996م.

2-أول بيان فرنسي إلى الجزائريين، في مجلة المعرفة، 17 مارس 1960م.

3-العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776 – 1830، في مجلة المعرفة 15 سبتمبر أكتوبر 1964م نوفمبر 1964م.

4-العلاقات الدبلوماسية بين أمريكا ودول المغرب العربي 1776- 1816، في مجلة المجاهد الثقافي، العدد 9، 1969م، ترجمها السيد كاوش إلى الفرنسية ونشرتها الجمهورية (وهران)، 17 يناير 1970م.

5-المستشرقون الفرنسيون وتعلم اللغة العربية للأوروبيين، في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 64، ماي 1989م [2].

[1] أوكيل مصطفى باديس، المرجع السابق، ص 237

[2] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 16.

6-صدى دعوة خير الدين باشا التونسي في الجزائر، تونس خريف 1990م.

7-رسالة في الكرة الفلكية لابن حمادوش، (القرن 18م) الجزائر، ديسمبر 1990، نشرت في وقائع المؤتمر.

8-آخر الأعيان أو نهاية الأرستقراطية العربية في الجزائر، في مجلة المنارة، العدد 2، 1997م.

9-تقريظ للمفتي أحمد بن عمارة (هو أحمد بن عمار وليس بن عمارة)، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني.

10- الثورة الجزائرية، في مجلة الآداب، ديسمبر 1977م.

11- أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، الثقافة العدد 51، 1979م.

12- إجازة أحمد بن عمارة، لمحمد خليل المرادي، الثقافة، العدد 25، 1978م.

13- قصيدة سياسية لابن ميمون، العدد 51، 1973م في الثقافة، العدد 51، 1973م.

14- قصيدة في رثاء المفتي مصطفى الكبابطي، الثقافة، العدد44، 1978م.

15- بين ابن شنب ومحمد كرد علي، الثقافة، العدد 53، 1979م.

16- مقامة لأحمد البوني، (إعلام الأحبار)، الثقافة، العدد 58، 1980م.

17- الشاعر المفتي ابن الشاهد واحتلال الجزائر، الثقافة، العدد61، 1981م.

18- قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843، في مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد16، 1985م.

19- عريضة الأمير خالد إلى الرئيس ويلسون سنة 1919، في مجلة التاريخ، نصف السنة الثاني، 1981م.

20- أزمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سبتمبر 1954، في مجلة التاريخ، نصف السنة الثاني، 1980م.

21- العثور على النسخة المسروقة من مخطوط تحفة الزائر، في مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، 1984م.

22- مشروع كتاب تاريخ زواوة لأبي يعلى الزواوي، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 27-28، 1982م[1].

23- رحلة في سورية منسوبة إلى الأمير عبد القادر سنة 1880، في مجلة التاريخ النصف الثاني، 1983م.

24- مؤلفات أبي حامد المشرفي المعسكري، في مجلة الثقافة، 1983م[2]

25- دراسة اجتماعية من دفتر محكمة المدية أواخر العهد العثماني، 1839،1821 في الثقافة، العدد81، 1984م.

26- الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ أبي راس الناصري، في المجلة التاريخية المغربية، 21-22، 1981.

27- أرض الملاحم، في مجلة الآداب، 1954م.

28- أزمة المثقف الثوري في الوطن العربي، في مجلة الآداب، 1966م.

29- الجزائر والقومية العربية، في مجلة الآداب، 1967م.

[1] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 17.

[2] صورية متاجر، كتابات أبو القاسم سعد الله في مجلة الثقافة، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد 11-12 مارس 2016.

30- الأدب الجزائري الحديث، في المجاهد الثقافي، 1968م .[1]

31- أخبار الحاج ديكارت، في الشعب، 1982م.

32- حول كتابة تاريخ الثورة التحريرية، في مجلة الجيش، جوان، 1982م.

33- حول الجامعة الإسلامية بالجزائر، في الشعب، 1982/07/15م.

34- أشباه الرجال، في الشعب، 11 يوليو 1982م.

35- تساؤلات عن المنظومة التربوية، في الشعب 9 أبريل 1986م.

36- من رسائل علماء الجزائر في القرن الماضي، مجلة الثقافة، مارس- أفريل1987م.

37- حول صراحة المركز الثقافي، في الشعب 1988/01/12م.

38- الأفعول في الحميرية والبربرية، في الشعب 15 يونيو 1989م.

39- إشكالية الكتابة التاريخية، في الشعب، مارس 1991م .[2]

40- مهمة موتيلانسكي في سوف لدراسة اللهجة الغدامسية سنة 1903م، مارس أبريل 1995م.

41- سليمان الباروني أضواء وملاحظات، سبتمبر- ديسمبر 1995م[3].

42- الأندلس، ذكرى وعبرة، في مجلة الدراسات التاريخية، 8، 1993-1994م.

[1] عسول فاطمة، حمزة حمادة، المرجع السابق، ص 142.

[2] أوكيل مصطفى باديس، المرجع السابق، ص 231.

[3] صورية متاجر، المرجع السابق، ص281

43- تأملات في مسار الثورة، نشرت في كتاب الثورة الجزائرية أحداث وتأملات جمعية أول نوفمبر باتنة 1994م [1].

44- ذكريات مغاربية عن اليمن، في مجلة البيان، جامعة آل البيت، 2001م.

وقد جمعت مسيرة أبي القاسم سعد الله العلمية بين تكوينه في الزيتونة والقاهرة حيث كان اهتمامه منصبا على الأدب والنقد، ثم تحوله نحو التاريخ الذي تعمّق بتخصصه الأكاديمي في جامعة مينيسوتا، مما أتاح له الجمع بين عمق التراث ودقة المنهج، وقد تجلّى ذلك في تنوع إنتاجه الذي شمل التأليف والتحقيق والترجمة والتدريس، واستأثر فيه التاريخ الجزائري بالقدر الأكبر من اهتمامه وجهده، وما يربط هذه المسيرة في محطاتها المختلفة هو وعيه المبكر بأن كتابة تاريخ الجزائر مهمة وطنية ملحة.

[1] عسول فاطمة، حمزة حمادة، المرجع السابق، ص143

الفصل الثاني:

منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ أبي القاسم سعد الله

الفصل الثاني: منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ أبي القاسم سعد الله

أولا: الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله.

1-مفهوم الكتابة التاريخية عند سعد الله.

2-دواعي اهتمامه بالكتابة التاريخية.

3-العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي عند أبي القاسم سعد الله.

ثانيا: شروط الكتابة التاريخية ومعيقاتها.

1-شروط الكتابة التاريخية.

2-معيقاتها.

ثالثا: خصوصية منهج الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله.

1-تشكل منهج الدكتور أبي القاسم سعد الله وتطوره.

2-أسس منهج الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله.

3-الأدوات المنهجية المعتمدة عند أبي القاسم سعد الله.

4-السمات المميزة لمنهجه في الكتابة التاريخية.

5-أسلوبه في الكتابة.

أسهمت الظروف والمؤثرات التي أحاطت بأبي القاسم سعد الله في صياغة مفهومه للكتابة التاريخية وتحديد العوامل التي تحكمت في خطابه، فقد كانت تجربته الممتدة بين الزيتونة والقاهرة وجامعة مينيسوتا، إلى جانب ما عايشه من غربة واحتكاك بثقافات متعددة في خضم الثورة التحريرية، العامل الأساسي الذي بنى خصوصية منهجه في الكتابة التاريخية.

أولا: الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله:

1-مفهوم الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله:

لم ينظر أبو القاسم سعد الله إلى الكتابة التاريخية نظرة تقليدية تقتصر على تسجيل الأحداث والوقائع، بل اعتبرها فرعا من فروع المعرفة العقلية التي تقوم على قوانين منهجية صارمة، وتعتمد الشك والموضوعية أساسا للوصول إلى الحقيقة، مستندة إلى الأدلة والوثائق والقرائن[1]، وهي في نظره تتطلب تحليل الماضي وتفسيره لاستشراف المستقبل، وليست عملا جامدا وإنما عملية متجددة تخضع لمناهج البحث وأدواته وتتغير من جيل إلى آخر[2]، وكل جيل مطالب بالبحث عن وثائق جديدة أو إعادة قراءة الوثائق القديمة وتفسيرها بما يتناسب مع متطلباته بل إن التوقف عن استنطاق الوثائق التاريخية وتجديد قراءتها هو في نظره السبب الرئيسي في تراجع الكتابة التاريخية عند المسلمين والجزائريين على وجه الخصوص.

و التاريخ في نظره ليس مجرد تسجيل لأحداث الماضي، بل هو مجال لفهم تجارب الأمم واستخلاص العبر منها، بما يساعد الإنسان على توسيع نظرته وترسيخ أحكامه وبناء مواقفه على وعي أعمق، والتاريخ يمنح الإنسان معيارا يقيس به الوقائع والأشخاص، لأنه يكشف حقيقة الأفعال بعيدا عن المكانة أو النفوذ، ويجعل الجميع خاضعين لميزان واحد.[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، طبعة خاصة، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 203.

[2] أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 80.

[3] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، ص 204.

وهو يرى أن التاريخ لا يقتصر على حدود الدول وسير الملوك وأحداث المعارك، بل يشمل مختلف الميادين الإنسانية، ورغم أن الكتابة العلمية الأكاديمية من مهام المؤرخين المتخصصين، إلا أنه يرى أن التاريخ قدر مشترك بين جميع المواطنين والكل يسهم بطريقته سواء كانوا سياسيين أم صحفيين أم أدباء[1]، فالتاريخ الحقيقي هو الذي يكتبه أبناء البلد عن أنفسهم، كما أن الكتابة التاريخية انعكاس لثقافة الجيل ومستواه الحضاري، فإذا كان الجيل واسع الثقافة ظهر ذلك في كتاباته، وإذا كان مستواه الثقافي متوسطا أو كان أميّا فإنه ينعكس عليها أيضا.[2]

وهي مشروطة بمؤهلاته المعرفية ومنهجه العلمي، فليس كل من يسرد الأحداث أو ينشر الوثائق مؤرخا حقيقيا، ونتيجة لغياب شروط البحث والنقد العلمي سيطرت أصناف غير مختصة على الساحة الثقافية، منهم من يحاولون تفسير التاريخ حسب ميولاتهم السياسية والأيديولوجية، ومنهم من يعتبرون أنفسهم صناعا للأحداث فيكتبون التاريخ من منظور ذاتي، ومنهم الهواة الذين يعتبرون التاريخ وسيلة للترفيه، وهو ما جعل من عملية تقييم المؤرخ أمرا صعبا.[3]

كما يرى أن الخطاب التاريخي يقوم على مستويين متكاملين: مستوى الفرد ومستوى الأمة[4]، ومن هذا التصور دعا إلى بعث الذاكرة الجماعية لدى الأجيال الجزائرية وترسيخ الوعي بتاريخها، وقد عبّر عن هذا التوجه بوضوح في قوله: "أضم صوتي إلى صوتكم وأضع يدي

---

[1] أبو القاسم سعد الله، في الصميم: عن الكتابة التاريخية، **مجلة الثقافة**، العدد 66، 1ديسمبر 1981، الجزائر، ص 8.

[2] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1996، ص7.

[3] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، طبعة خاصة، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص30.

[4] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، ص 197.

في يدكم وفي يد كل من يعمل على نشر الوعي بالحقوق المنسية بين المواطنين حتى لا تحاسبنا الأجيال القادمة على أننا كنا جيلا بليدا أو غبيا أو فاقدا للذاكرة التاريخية، وما ضاع حق من ورائه طالب"[1]، ويكشف هذا عن إحساسه العميق بالمسؤولية تجاه المستقبل، وأن فقدان الذاكرة التاريخية يمثل تقصيرا جسيما في حق الأمة.

2- دواعي اهتمامه بالكتابة التاريخية:

على الرغم من أن التكوين الأكاديمي الأساسي لأبي القاسم سعد الله كان في مجال الأدب والنقد، إذ كان مقبلا على مناقشة رسالة الماجستير حول شعر محمد العيد آل خليفة[2]، فإن مساره العلمي لم يتحدد منذ البداية نحو التاريخ بصورة واضحة، فقد نشأ في بيئة تتسم بإمكانيات ثقافية محدودة وإن كانت تُقدّر المعرفة، كما أن تعليمه في جامع الزيتونة ثم في القاهرة اتصف بطابع عام يجمع بين علوم متعددة،[3] وهو ما جعله يتلقى تكوينا واسعا دون توجيه حاسم نحو تخصص بعينه، وفي كلية دار العلوم بجامعة القاهرة استمر هذا الطابع العام، إذ ظل التكوين متأرجحا بين القديم والحديث، الأمر الذي أبقى اهتمامه قريبا من الأدب والنقد.

---

[1] صماري بوبكر، التاريخ والذاكرة لدى المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني أنموذجا، أشغال الملتقى الوطني الأول الموسوم: الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني تحت شعار للأمجاد أعلام وللتاريخ أقلام، إصدرات وزراة المجاهدين وذوي الحقوق، 2024، ص 104.

[2] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ.د.أبوالقاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 82.

محمد العيد آل خليفة : ولد بعين البيضاء سنة 1904، ونشأ في بيئة دينية قادته إلى الدراسة بجامع الزيتونة سنة 1921، وبعد عودته إلى الجزائر، انصرف إلى التعليم وأسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجعل من شعره وسيلة للدفاع عن الهوية الوطنية ومقاومة الاستعمار عبر صحف مثل الشهاب، البصائر، المنتقد، وصدى الصحراء، مما عرضه للسجن والإقامة الجبرية ببسكرة حتى الاستقلال. انظر: فاطمة صغير، فتيحة بلحاجي، مساهمة محمد العيد آل خليفة في الحفاظ على الهوية الوطنية، **مجلة دراسات معاصرة**، الجزائر، المجلد4، العدد2، ص 136.

[3] أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، مصدر سابق، ص ص 62، 63.

وحتى بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتسجيله بجامعة مينيسوتا، لم ينقطع هذا الميل الأدبي مباشرة، بل ظل في بداياته شديد الاهتمام بالأدب الإنجليزي والأمريكي، فكان يحضر محاضراته لأسابيع متتالية ويقتني الكتب المتعلقة به، غير أن هذه المرحلة نفسها شهدت التحول الحاسم في مساره نحو التاريخ، حيث بدأت اهتماماته تتجه تدريجيا نحو التاريخ وتدوين قضاياه، وقد أسهمت عدة عوامل في هذا التحول:

أ- تأثير الثورة التحريرية:

كان للثورة التحريرية تأثير عميق على توجه أبي القاسم سعد الله، إذ شكل انشغاله الدائم بأخبارها ومتابعته المستمرة لأحداثها عاملا أساسيا في إعادة توجيه اهتمامه نحو القضايا الوطنية، فقد أدرك أن واقع الجزائر تحت الاستعمار يفرض عليه التوجه نحو البحث في تاريخ وطنه وجذور شعبه،[1] وقد تعزّز هذا التحول خلال إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث دفعته الغربة وتواصله الدائم مع العائلات الأمريكية والطلبة الأجانب والمنظمات الجامعية في مواجهة أسئلة متكررة حول الجزائر وثورتها وعلاقتها بفرنسا، إلى جانب تساؤلات عن العرب وفلسطين وصلات المغرب العربي بالمشرق، وقد فرضت عليه هذه التحديات توسيع معارفه التاريخية والسياسية ليتمكن من تقديم صورة واعية ودقيقة عن وطنه وقضاياه، كما أسهم احتكاكه بالكتابات الأجنبية حول تاريخ العرب وحضورهم الحضاري في تنمية رغبته في استكشاف تاريخ أجداده والكشف عن دورهم في الحضارة الإنسانية، ليتحول التاريخ لديه من مجرد مجال معرفي إلى مشروع وعي وطني وحضاري.

ب-تجربة الغربة والحنين إلى الوطن:

ولّد تواجده في الخارج شعورا عميقا بالارتباط بالجزائر، وهو ما تجلى في بداياته عبر الشعر الوطني الداعم للثورة، ومن ذلك ديوانه (النصر للجزائر) الصادر بالقاهرة سنة 1957،

[1] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج1، مصدر سابق،ص52.

الذي رأى فيه أحمد توفيق المدني تعبيرا صادقا عن وجدان الشعب الجزائري[1] وصموده الطويل أمام عنف الاستعمار ،كما أن تواجده بالولايات المتحدة الأمريكية فرض عليه الإحاطة بالقضايا التي كانت محل نقاش، كالثورة وأهدافها.

ت- الوعي الحضاري عبر الكتابات الأجنبية:

أسهم اطلاعه على ما دونه الأجانب حول الآثار ومساهمة الجزائر والمغرب العربي في نشر الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس وصقلية وإفريقيا[2] في إيقاظ وعيه بأصوله الحضارية، ودفعه إلى استكشاف تاريخ أجداده والكشف عن دورهم الفاعل والمؤثر في مسار الحضارة الإنسانية.

ث- الدافع النفسي والذاتي:

تملّكته رغبة ذاتية ونفسية عميقة لاستكشاف تاريخ أجداده والبحث في الماضي لإبراز دورهم الفاعل والمؤثر في مسار الحضارة.[3]

ج- التأثيرات الثقافية والسياسية المبكرة:

---

[1] هزرشي بن جلول، "المؤرخ أبو القاسم سعد الله والتاريخ الوطني"، أعمال الملتقى الدولي الأول حول: قراءات إبستيمية في مناهج البحث العلمي عند العلماء العرب والمسلمين،ط1، دار الضحى، الجزائر، 2020، ص 302.

أحمد توفيق المدني: ولد سنة 1899 في تونس، إذ انتقلت أسرته إليها فرارا من بطش الاستعمار، درس في جامع الزيتونة واستهوته السياسة فانخرط فيها، فتولى أمانة الحزب الدستوري القديم ورئاسة تحرير جريدتي الزهرة والفجر، ولما انتقل إلى الجزائر أصبح من الفاعلين في جمعية العلماء المسلمين وتولى منصب الأمين العام ورئاسة تحرير جريدة البصائر واستمر في العمل الصحفي والتأليف، انظر: محمد الصغير بن لعلام، الأستاذ أحمد توفيق المدني الصحفي والمؤرخ، **مجلة الدراسات الإسلامية**، الجزائر، العدد 14، 2008، ص 109، 112.

[2] أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، مصدر سابق، ص 61.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، مصدر سابق، ص 52.

ساهم حفظه للأناشيد الوطنية لحزب الشعب الجزائري التي كانت تمجد بطولات الماضي، إلى جانب مواظبته على قراءة الصحف الإصلاحية كالبصائر والمنار والشهاب، في تشكيل وعيه الوطني والتاريخي منذ وقت مبكر.

3-: العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي عند أبي القاسم سعد الله:

تشكل الخطاب التاريخي عند أبي القاسم سعد الله من خلال تأثير جملة من العوامل الفكرية والثقافية التي طبعت رؤيته وحددت اتجاهاته:

أ- الرؤية الوطنية ورفض المركزية المشرقية:

ينطلق سعد الله في خطابه التاريخي من رؤية وطنية تسعى لاستعادة موقع الجزائر ضمن الحضارة الإسلامية، حيث ينطلق من رفضه للمركزية المشرقية[1] التي لا تركز على أدوار أطراف العالم العربي، فقد دفعه إحساسه بهذه المركزية إلى محاولة إثبات ريادة الجزائر في العديد من الأفكار القومية والإصلاحية، فمثلا ينسب القومية العربية إلى حمدان خوجة وإلى ابن العنابي[2] بوادر الإصلاح[3]، ويتصل برؤيته هذه حرصه الشديد على وحدة الوطن الجزائري وتاريخه، وهو ما يظهر في انكبابه على دراسة الفترات التاريخية التي كانت مجهولة أو مهملة، فقد سعى لوضع أسس لتاريخ الجزائر لتكون مخزونا علميا للأجيال القادمة.

---

[1] رابح لونيسي، العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي لأبي القاسم سعد الله، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 13، 2014، الجزائر، ص 375.

[2] ابن العنابي: من رواد المذهب الحنفي، ولد سنة 1775، ترجع أصوله إلى اسطنبول، كانت عائلته قريبة من مقاليد السلطة، عينه الداي حسين باشا على رأس قيادة الجيش الجزائري بعد هزيمة سطاوالي، وكان موضع شبهات من طرف الإدارة الفرنسية بسبب مواقفه ومراسلاته سجن ثم نفي إلى مصر، وقد ألّف قبيل الاحتلال كتابه (السعي المحمود في نظام الجنود)، الذي دعا فيه إلى إصلاح الجيش. انظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، د.ط، 1980،ص 245.

[3] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 276.

ب- أولوية العامل الثقافي والفكري:

ركّز سعد الله في سياق مشروعه الوطني جهده على إحياء الثقافة العربية في الجزائر وإبرازها، معتبرا عمله امتدادا للنضال الثقافي الذي يسعى لإثبات وجود إنتاج فكري جزائري باللغة العربية صمد أمام كل المحاولات الاستعمارية لطمسه، وينبع هذا الاهتمام من قناعته العميقة بأولوية العامل الثقافي والفكري في تغيير المجتمعات، فهو يؤمن أن أي تغيير ناجح، بما في ذلك الثورة الجزائرية، لا بد أن يسبقه بعث حضاري ووعي فكري يشكل الإنسان الجديد القادر على صنع الأحداث.[1]

ج- التعاطف الفكري مع مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:[2]

يظهر في خطاب سعد الله تعاطف فكري مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو تعاطف يعود لتربيته وتكوينه في مدارسها، مما جعله يولي أهمية كبرى لدورها الإصلاحي في الحفاظ على الهوية الوطنية والروحية للشعب الجزائري.

د- الالتزام بالموضوعية الأكاديمية وتجنب الذاتية:

ورغم الارتباط العاطفي والفكري بالهوية الذي يميز خطاب سعد الله، فقد التزم بالابتعاد عن تناول القضايا القريبة والحساسة في تاريخ الثورة والسياسة المعاصرة[3]، وذلك إدراكا منه لحداثة عهد هذه الأحداث وما قد تثيره من حساسيات، فضلا عن حرصه على تجنب غلبة الذاتية على كتاباته لضمان أكبر قدر من الموضوعية الأكاديمية والصدق العلمي.

ثانيا: شروط الكتابة التاريخية ومعيقاتها عند سعد الله:

[1] رابح لونيسي، المرجع نفسه، ص 278

[2] المرجع نفسه، ص 279.

[3] سعيدي مزيان، الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله ومسألة كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، أعمال الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا يومي 13-14 ديسمبر 2016 ص 287.

1- شروط الكتابة التاريخية:

لا يمكن للكتابة التاريخية أن تتحقق وتؤدي دورها إلا بتوفر جملة من الشروط الأساسية، وقد حددها سعد الله على النحو الآتي:

أ- الحرية في البحث والاستنتاج والنشر:

تمثل الحرية في نظر سعد الله شرطا أساسيا [1]لا تقوم الكتابة التاريخية بدونه، فهي ضرورة عملية لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تضمن استقلالية البحث، والحقيقة التاريخية كثيرا ما تتعارض مع أهداف أطراف وفئات محددة وقد لا تنسجم مع رواياتها، والمؤرخ الحقيقي لا يمكنه أن يرضي جميع الأطراف في آن واحد[2]، فالحقيقة التاريخية مرهونة بالحرية، ولا يمكن للمؤرخ تقصّيها والوصول إليها إذا اضطر إلى إخفاء أفكاره أو تغيير الأحداث طلبا للقبول.[3]

ب-الموضوعية والفصل بين الذات والبحث:

ينبغي على الباحث أن يفصل بين توجهاته الشخصية وما يمليه عليه ضميره الوطني ومسؤوليته العلمية، فالتاريخ لا يكتب وفق الأهواء، بل وفق ما تنص عليه الوثيقة وما يتعلق بالقضية المدروسة، مع تحكيم العقل في كل ذلك بهدف خدمة التاريخ[4].

ت-توفير بيئة بحث ملائمة:

من الضروري لإنجاح عملية الكتابة التاريخية توفير بيئة بحث ملائمة تشمل مقرا مناسبا يتوفر على الإمكانيات اللازمة من آلات وموظفين مساعدين، لأن المؤرخ لا يمكنه إنجاز عمله بمعزل عن هذه الأدوات، ويضيف سعد الله إلى ذلك ضرورة تطوير وسائل النشر

[1] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 61.

[2] أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، مصدر سابق، ص11

[3] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 249.

[4] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2**، مصدر سابق، ص10.

وتحسينها حتى لا تبقى الأبحاث التاريخية حبيسة الأدراج في انتظار النشر، لأن في ذلك ضياعا لجهد المؤلف وإخفاقا في الوصول إلى تطلعات القارئ.

ث-التفرغ للبحث والتأليف:

يرى سعد الله أن بعض المؤرخين يجب أن تتاح لهم فرصة التفرغ الكامل للبحث والتأليف[1]، إذ إن أعباء التدريس وغيره من المهام قد تعيقهم عن المشاركة الفعلية في الكتابة التاريخية وإنتاجها.[2]

2-: معيقات الكتابة التاريخية الوطنية في الجزائر

إذا كانت هذه الشروط تمثل ما ينبغي أن تقوم عليه الكتابة التاريخية، فإن الواقع الجزائري افتقر إليها على مدى قرون، مما أخّر نشأة تأريخ وطني مستقل، وقد كان غياب التأريخ الوطني المستقل نتيجة لعدة عوامل حكمتها ظروف المرحلة التي عاشتها الجزائر.

ففي المرحلة الأولى من المقاومة المسلحة في القرن التاسع عشر، كانت غاية المقاومة الكبرى هي الجهاد وطرد المحتل من البلاد[3]، وحين أنكر المستعمرون وجود الجزائر أمة قائمة بذاتها، بدأ الوعي بالتاريخ يأخذ منحى مختلفا وتعاظمت أهميته، وأصبح يعني الوطنية ذاتها التي لا تخرج عن إطار الهوية والانتماء الحضاري للعروبة والإسلام، وقد اعتبر سعد الله أن نخبة ما قبل الاستقلال هي من وضعت أسس المدرسة التاريخية الوطنية، وأبرز في أكثر من موضع دور الرواد الأوائل وجهودهم أمثال محمد الميلي وأحمد توفيق المدني وغيرهم، فهؤلاء وبدافع الغيرة على الوطن كانوا السباقين إلى وضع أسس البحث في التاريخ من منظور وطني، غير أن هذا الوعي التاريخي الذي تجلّى بصورة أوضح في نشاط جمعية العلماء المسلمين

[1] هزرشي بن جلول، "**المؤرخ أبو القاسم سعد الله والتاريخ الوطني**"، مرجع السابق، ص 303.
[2] أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، مصدر سابق، ص 11.
[3] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 105.

وحزب الشعب طغت عليه روح الحماس الوطني وعاطفة التحرر أكثر من اعتماده على المنهج العلمي الدقيق[1]، لذلك جاءت الكتابات التاريخية آنذاك أقرب إلى التعبير عن الهوية الوطنية والدفاع عنها، وهو ما جعل الساحة التاريخية تفتقر إلى تأريخ وطني مستقل قائم بذاته يعالج مختلف مراحل التاريخ الجزائري، وقد أثّر هذا الوضع على جيل ما بعد الاستقلال الذي وجد نفسه مضطرا في كثير من الأحيان إلى الاعتماد على الكتابات الفرنسية كمصدر أساسي لغياب البديل الكافي[2]، وقد رصد سعد الله جملة من هذه العوائق:

أ- غياب البيئة الحاضنة والمناخ الحر:

إن نشأة الكتابة التاريخية تحتاج إلى بيئة حاضنة توفر لها شروط الازدهار، وهو ما افتقرت إليه الجزائر على مدى قرون، فالمستوى الثقافي كان في معظم الحقب دون المستوى الذي ينتج مؤرخين ويدعم ظهور حركة تدوين مزدهرة، فضلا عن غياب المناخ الحر الذي يتيح للكاتب أن يفكر ويعبر عن رأيه دون خوف، يُضاف إلى ذلك انعدام المحفزات المادية[3] والمعنوية التي تشجع على الكتابة وتجعل منها مشروعا متكاملا، وما وجد من جهود كان مبعثرا إلا في فترات قصيرة ومتقطعة[4]، دون أن يتراكم ليشكل أثرا حقيقيا قادرا على مواجهة الكتابة الاستعمارية، وهو ما جعل الذاكرة الجماعية تضعف من جيل إلى جيل.

ب-انفصال الجزائريين عن تراثهم:

اعتبر سعد الله انفصال الجزائريين عن تراثهم واحدا من أبرز الأسباب، فالجزائريون لم يهتموا عبر العصور بتوثيق بطولاتهم وإسهاماتهم الحضارية، فبقي جزء كبير من التاريخ الوطني دون تدوين، وتركوا بذلك المجال للأجانب ليكتبوا تاريخهم عنهم، وانفردت المدرسة

[1] المرجع نفسه، ص 120.

[2] نفسه، ص 121.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4**، مصدر سابق، ص 8.

[4] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 61.

الفرنسية بملء هذا الفراغ برواياتها وخوّلت لنفسها التحكم في صورة الماضي الجزائري، وهو ما جعل سعد الله يستغرب من أن يكون الجزائريون قد نجحوا في تصفية الاستعمار وآثاره من بلادهم، بينما عجزوا عن وضع تاريخ شامل له.[1]

ت-غياب المركزية الثقافية واللغة الموحدة:

لقد شهدت الجزائر عبر عصورها حالة من التشرذم الثقافي[2]، ويرجعه سعد الله إلى عاملين متلازمين: غياب المركزية الوطنية المستقرة، بالموازاة مع الافتقار إلى لغة جامعة موحدة محفِّزة على الإنتاج، فأهمية المركزية الثقافية لدى بعض البلدان جعلتها مناطق جذب واستقطاب للمثقفين والمؤرخين كونها مراكز إشعاع سياسي وحضاري، وهو ما كان غائبا في الجزائر، ومما زاد من حدة هذا الضعف في مجال التدوين والتوثيق أن الجزائر لم تعرف عبر تاريخها لغة موحدة، فتعدد الألسنة عبر العصور كان سببا في تفاقم هذه المشكلة، ففي العصور القديمة تعددت لغاتها من لاتينية وفينيقية ويونانية وعاميات بربرية، ثم جاء الفتح الإسلامي ليرسخ اللغة العربية لغة للعلم والدين، غير أن هذه الوحدة ظلت نسبية إذ بقيت اللهجات المحلية حاضرة بقوة، ولا نكاد نجد تكريسا للغة العربية إلا في بضع محطات متفرقة، وفي العهد العثماني دخلت اللغة التركية لغة الحكم، ولم يفرض النظام لغة أو لهجة واحدة بل أبقى على هذه الفوضى اللغوية[3]، واستمر الأمر كذلك في فترة الاحتلال وبقي ضاربا بقوة رغم توفر المركزية السياسية الوطنية.

ث- العزوف عن الكتابة:

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، ج**3، طبعة خاصة، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص10.

[2] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج**4، مصدر سابق، ص 8.

[3] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 62.

في علاقة الجزائريين بالكتابة التاريخية، لاحظ سعد الله أنهم يهتمون بالكلمة المكتوبة ويقدّسونها، ويُكثرون الحديث عن ضرورة توثيق التاريخ والاعتزاز بالرموز، لكن حين يبحث المرء عن الجهد العملي الفعلي لا يجد إلا القليل، فهم شعب يقرأ ولا يكتب، ورغم كثرة حديثهم عن الكتابة التاريخية إلا أنهم يهابونها في الوقت نفسه[1]، ولو استطاعوا أن يمنعوا الكتابة لفعلوا[2]، وهو ما أفرز حالة من التناقض العميق، إذ يشعر الجزائري في قرارة نفسه بالذنب لأنه لم يكتب تاريخه بنفسه وترك هذه المهمة لأقلام غريبة عنه، فأصبح عالة على غيره، وهنا يصف مأساة المؤرخ الذي يرث خطايا أجداده الذين أهملوا تدوين حياتهم[3].

ج- العوامل النفسية والاجتماعية:

رغم امتلاك الجزائريين رصيدا حافلا بالمواقف البطولية عبر العصور، إلا أنهم أهملوا كتابة تاريخهم، ويُرجع سعد الله ذلك إلى عوامل نفسية واجتماعية في مقدمتها الحساسية المفرطة، فالجزائري لا يقبل النقد ويُفضّل ألا يكتب أصلا على أن يعرّض نفسه له، حتى وإن كان النقد موضوعيا، بل قد يعتبره نوعا من الخصومة أو الإساءة[4]، أما التحجج بغياب حرية التعبير فهو في نظر سعد الله مجرد ذريعة تبنّاها العازفون عن الكتابة، ففي حديثه عن العزوف عن الكتابة، رفض سعد الله التحجج بقسوة الظروف كمبرر للامتناع عن الكتابة، مؤكدا أن الكتابة التاريخية يمكن أن تتحقق حتى في أصعب الظروف[5]، وأن غياب الحرية أو صعوبة الأحوال لا يمثلان عائقا حقيقيا أمام من يحمل شعورا صادقا بالمسؤولية تجاه تاريخ وطنه، فبينما بعض الشعوب حرصت على تعظيم رموزها والاحتفاء بأبطالها، ولم يتخذوا من غياب

[1] أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، مصدر سابق، ص 113.

[2] المصدر نفسه، ص 61.

[3] سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 281.

[4] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج2، مصدر سابق، ص 7.

[5] المصدر نفسه، ص8.

الحرية حجة للعزوف عن الكتابة، بل وجدوا في التدوين وسيلة للبقاء والمقاومة، لم يحظَ كثير من رموز الجزائر بالاهتمام الذي يليق بهم.

ثالثا: خصوصية منهجية الكتابة التاريخية عند سعد الله

1-: تشكل منهج الدكتور أبي القاسم سعد الله وتطوره:

كان لمسيرة أبي القاسم سعد الله العلمية دور محوري في تشكيل نظرته إلى التاريخ ومنهجه في كتابته، إذ لم يصل إلى منهجه الناضج دفعة واحدة، بل مر بمراحل تحول تدريجي، فقد تبنى منذ بداية الخمسينات ونضجه السياسي فكرة القومية والوطنية[1]، وكان ينظر إلى التاريخ من زاوية الانتماء والحنين، في إطار تصور يعتبر الوطن العربي كيانا موحدا يجمعه تاريخ ومصير مشترك.[2]

غير أن انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة التاريخ الأوروبي والعلوم السياسية أسهم في تغيير هذا التصور تغييرا جوهريا، إذ استفاد من أحدث مناهج البحث العالمية، خاصة الأنجلوسكسونية، بفضل إتقانه للغات الأجنبية،[3] وقد مكّنه هذا التنوع اللغوي من توسيع مجال البحث التاريخي ليتجاوز التركيز على الأحداث السياسية والعسكرية نحو الاهتمام بالتاريخ الثقافي، وبذلك استطاع إبراز الرصيد الحضاري والأدبي للجزائريين عبر مختلف الفترات التاريخية، وقد انفتح على مناهج جديدة في البحث وأصبح يميل إلى التحليل والمقارنة بين تجارب الشعوب، ومع تدريسه لتاريخ الشرق الأدنى ونقص الدراسات حول تاريخ الجزائر، اتجه

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **شعوب وقوميات**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 8.

[2] الطاهر بونابي، "منهج أبي القاسم سعد الله في كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط (القسم الأول: مستوى التاريخانية)"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية**، العدد4، 2016، الجزائر، ص 327.

[3] محمد بليل، "الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية"، **مجلة دراسات تاريخية**، الجزائر،العدد4، 2015، 57.

اهتمامه إلى البحث في الإسهام الحضاري للجزائر، فكان هذا النقص دافعا له للبحث في تاريخ المنطقة وإبراز دورها الحضاري[1].

ومن خلال هذه التجربة اكتسب أدوات منهجية حديثة جعلته ينظر إلى التاريخ باعتباره علما يقوم على التحليل والتفسير لا مجرد سرد للأحداث، فأصبح يركز على فهم الأسباب والعوامل التي تقف وراء الظواهر التاريخية، وانتهى إلى ضرورة الجمع بين المنهج العلمي والتراث، مؤكدا أن فهم الماضي يتطلب قراءة موضوعية بعيدة عن التأثر العاطفي.

وقد انفتح سعد الله على الثقافات العالمية فأتقن اللغة الإنجليزية وألّف بها، مما أتاح له الاحتكاك المباشر بالفكر الأنجلوسكسوني وتياراته المنهجية الصارمة، وقد أثرى هذا الانفتاح كتاباته بأبعاد إنسانية جعلت أفكاره تنطلق من مبادئ علمية راسخة لا من ردود فعل عاطفية، فاستلهم من تجارب المفكرين الكبار كمالك بن نبي[2] في قراءة الحضارة وأسباب النهوض

[1] أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، مصدر سابق، ص 61.

[2] مالك بن نبي: مفكر وفيلسوف جزائري ولد سنة 1905 بقسنطينة، تخرج في الثلاثينيات مهندسا ميكانيكيا من معهد الهندسة العالي في باريس، زار مكة وبعض الأقطار الإسلامية،وأقام في القاهرة سبع سنوات، اشتُهر بنظريته حول (القابلية للاستعمار)، رأى أن النهضة الحضارية تقوم على ثلاثة عناصر: الإنسان والتراب والزمن، والمركب بينها هو الفكرة الدينية، من أبرز مؤلفاته شروط النهضة ووجهة العالم الإسلامي توفي في الجزائر، سنة 1973،انظر: عادل نويهض المرجع السابق، ص 282.

والانحطاط، ومن المؤرخين العالميين كأرنولد توينبي[1] في فهم دورة الحضارات وقوانين صعودها وأفولها.[2]

2- أسس منهج الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله:

أ- الاعتماد على المنهج العلمي:

شكّل الاعتماد على العلم الأساس الذي بنى عليه أبو القاسم سعد الله منهجه في كتابة التاريخ، إذ اعتبر أن الدراسات التاريخية جزء من المعرفة العقلية التي ينبغي أن تقوم على المنهج العلمي، وأن المؤرخ هو أول من يُطالب بالالتزام به[3]، فالتاريخ في نظره منبع للمعرفة لا يقبل التجزئة ، بل هو مصدر متكامل لا يزدهر إلا حين يتعامل معه العقل البشري بالصقل والتنسيق والكشف[4]، ومن هذا المنطلق رفض الأساليب التقليدية التي تقتصر على سرد أخبار الحكام والأحداث السياسية، معتبرا أنها لم تعد كافية بحكم تطور مناهج البحث التاريخي، وأن التاريخ المعاصر أصبح يهتم بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أيضا.[5]

وقد آمن سعد الله بأن التاريخ ليس مجرد حكايات تُروى أو توجهات أيديولوجية شرقية كانت أم غربية،[6] بل هو حقيقة وعلم يرتكز على المعرفة العقلية، فالأحداث التاريخية لا تحدث

---

[1] أرنولد تونبي: ولد في لندن عام 1889م، وتلقى تعليمه في جامعة أكسفورد التي عمل مدرسا بها، برز دوره السياسي والدبلوماسي من خلال عمله في وزارة الخارجية البريطانية إبان الحرب العالمية الأولى، ومشاركته في مؤتمري الصلح لعامي 1919 و1946، على الصعيد الأكاديمي، عُين أستاذا للغة اليونانية والتاريخ البيزنطي بجامعة لندن (1919-1924)، وقام لاحقا بجولات عالمية واسعة ألقى خلالها محاضرات عديدة يتوفى في أكتوبر عام 1975م، انظر: شيكو يمينة، تفسير التطور الحضاري عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، **مجلة الأصالة للدراسات والبحوث**،الجزائر، المجلد1، العدد1، 2019، ص 23.

[2] محمد بليل، المرجع السابق، ص 58.

[3] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، ص 97.

[4] أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، مصدر سابق، ص 62.

[5] أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، مصدر سابق، صَ 15.

[6] المصدر نفسه، ص9.

صدفة، بل تخضع لأدلة وبراهين وأسباب منطقية يمكن للعقل البشري فهمها وتفسيرها، فلم يكن يجمع الأحداث ويحشرها في كتبه دون رأي، بل كان يتفاعل معها، يحلل الظواهر ويشرح أسبابها ويقيّم إنتاج العلماء ويناقش آراءهم ويصحح أخطاءهم، رافضا أن تكون مادة التاريخ مجرد حوادث أو بيانات.

ولم يحصر هذا التوجه في أبحاثه فقط، بل دعا الجيل المعاصر إلى اعتماد المنهج العلمي في قراءة التراث من خلال ربطه بواقع الحاضر وفهمه بطريقة علمية، لأن ذلك هو السبيل إلى بناء وعي تاريخي يساعد على فهم الذات وتحقيق النهضة.

ويرى سعد الله أن التاريخ الحقيقي لا يقوم إلا بوجود مؤرخين متخصصين يكتبونه وفق المناهج العلمية الحديثة بعيدا عن الهوى والتعصب، فالمؤرخ في نظره هو من درس هذه المناهج وأحسن التمييز بينها وبين مناهج العلوم الأخرى، وعليه أن يتقن التعامل مع الوثائق ويميز بين ما يتفق منها وما يتعارض وما يُشك في صحته، وألا يُصدر حكمه في أي مسألة أو حادثة إلا بعد أن يستوفي النظر فيها من جميع جوانبها.[1]

ب- تجديد التاريخ:

يعتبر سعد الله عملية الكتابة التاريخية عملية حية ومتجددة، فكل جيل يفسر التاريخ انطلاقا مما اكتسبه من معارف في المدرسة والبيئة والثقافة المعاصرة[2]، وتجديد التاريخ في نظره لا يعني قلب الحقائق والمفاهيم رأسا على عقب، بل يعني استدراك ما أغفلته الأجيال السابقة وتصحيحه، لا سيما أن بعض الحقائق التاريخية قد تكون مشوّهة أصلا فتكشف عملية إعادة الكتابة عن ذلك التزوير الذي مارسه الاستعمار، كما يؤكد أن إعادة كتابة التاريخ لا تتوقف على امتلاك الكفاءة العلمية وحدها، بل تستلزم قبل ذلك الالتزام بشرف المهنة والإحساس

[1] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، ص 158.

[2] خالد بلعربي، مرجع سابق، ص 78.

العميق بالمسؤولية تجاه الجيل والأمة والتاريخ، ولهذا فليس كل من حمل لقب مؤرخ كان أهلا للقيام بهذا الدور[1].

ت–الجد والمثابرة وأخلاقيات المؤرخ:

يقوم منهج أبو القاسم سعد الله في الكتابة التاريخية على الجدية والمثابرة والاهتمام العميق بالمادة التاريخية، إذ كان يرى أن المؤرخ الحقيقي هو من يتعامل مع مختلف أطراف الحدث بقدر واحد من الموضوعية، بعيدا عن الانحياز[2]، لأن الحياد العلمي في نظره هو أساس العمل التاريخي، إذ يرى أن الحياد العلمي هو الأساس الذي لا تقوم الكتابة التاريخية بدونه، ويضيف إلى ذلك جملة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ، في مقدمتها الشعور بالمسؤولية والتواضع في تقييم ما ينجزه من أعمال، والبعد عن حب الظهور والسعي وراء الألقاب والمناصب، كما يدعو إلى التأني والتثبت وتجنب الانقضاض على آراء الآخرين وتتبع زلاتهم، على أن يكون الرد في كل الأحوال مستندا إلى الحجة العلمية والدليل المنهجي.[3]

3 – : الأدوات المنهجية المعتمدة عند أبي القاسم سعد الله:

أ– التحقيق والنقد:

أمضى سعد الله سنوات طويلة يسافر بين مكتبات العالم بحثا عن المخطوطات والوثائق باعتبارها الأساس في البحث التاريخي، وتواصل مع علماء الشرق والغرب سعيا إلى جمع المخطوطات الجزائرية التي تفرقت عبر البلدان[4] وتصويرها، فقد تجاوزت عملية البحث عنده

[1] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، نفسه، ص 179.

[2] خالد بلعربي، "المؤرخ أبو القاسم سعد الله ومنهجه في الكتابة التاريخية"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**،الجزائر، المجلد7، العدد2، ص 77.

[3] المرجع نفسه، ص 77.

[4] مولود عويمر، جهود الدكتور أبي القاسم سعد الله قي تحقيق تراثنا التاريخي، جريدة البصائر، https://elbassair.dz/31125/

حدود المكتبات الوطنية لتشمل رحلات ميدانية حملته إلى وجهات متعددة، كان الهدف الأساسي منها في أغلب الأحيان البحث عن المخطوطات الجزائرية المبعثرة في أرجاء العالم.[1]

ففي عام 1973 توجه إلى المغرب الذي يزخر بتراث جزائري مخطوط ثمين، إذ انتقل كثير من العلماء الجزائريين في حقب سابقة إلى حواضره كفاس ومكناس ومراكش، وقد زار الخزانة العامة في المكتبة الوطنية بالرباط التي أمضى فيها معظم وقته واكتشف فيها رصيدا بالغ القيمة، فضلا عن الخزانة الملكية بالرباط، وقد جمع في رحلته قدرا معتبرا من المخطوطات، يُشير سعد الله إلى أنه لو ذكر كل ما اطلع عليه من كتب الرحلات والتاريخ والآداب خلال رحلاته البحثية لأثقل على القارئ، غير أن ما وقف عليه من كتابات جزائرية بأقلام أبنائها كان في نظره الغاية الحقيقية من هذه الرحلات[2].

وإلى جانب رحلته المغربية، كانت له زيارات متعددة إلى فرنسا ولا سيما المكتبة الوطنية في باريس، إدراكا منه أن الاستعمار الفرنسي نقل كميات كبيرة من المخطوطات الجزائرية إليها، وامتدت رحلاته البحثية لتشمل أرجاء واسعة من العالم، فزار تركيا حيث اكتشف في مكتبة طوبقابي بإسطنبول نسخة مسروقة من: (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر)[3]، وتردّد على مصر بحكم ثرائها بالمخطوطات الجزائرية وموقعها العلمي المتميز فعثر فيها على جملة من المخطوطات النفيسة، كما أمضى فترات في الولايات المتحدة متفرغا للبحث في مكتباتها الكبرى كمكتبة الكونغرس وجامعة برنستون وجامعة مينيسوتا، ولم تقتصر رحلاته على هذه البلدان بل طالت ألمانيا وبريطانيا وتونس والسعودية وغيرها[4]، قد كان هدفه من كل ذلك

[1] مريم خالدي، الدكتور أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، مرجع سابق، ص 237.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب**، الجزائر، ص 234.

[3] مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله مرجع سابق، ص238.

[4] المرجع نفسه، ص 238.

جمع هذه المخطوطات وتوظيفها [1]والعمل على نشرها لتكون في متناول الباحثين، وقد أتقن إلى جانب ذلك تفكيك نصوصها وتحليلها واستنطاق دلالاتها، وتوظيفها والعمل على نشرها لتكون في متناول الباحثين، وفي مجمل هذه الجهود دليل واضح على ما بذله في سبيل خدمة التراث الجزائري واسترداد ذاكرته المبعثرة في أرجاء العالم، ويعود ذلك إلى وعيه بأن النشر لا يأتي إلا خلاصة للبحث عن مادة جديدة، كما أن تكوينه التاريخي واحتكاكه بالمدرسة الموضوعية التي تعتمد على عرض المادة التاريخية ونقدها جعلاه يلتزم بعرض أحداث التاريخ اعتمادا على المصادر المتوفرة.[2]

ب–المقارنة:

من أبرز ما يميز منهج سعد الله في الكتابة التاريخية هو لجوؤه المتكرر إلى المقارنة، وهذه الأداة لم تأتِ من فراغ بل اكتسبها خلال سنوات دراسته وتدريسه لتاريخ الحضارة الأوروبية في أمريكا، كان يقارن أحيانا بين أحداث متباعدة في الزمن، مثل ربطه بين ثورات البربر في عصر الولاة والحروب الدوناتية في العهد المسيحي[3]، وأحيانا أخرى كان يقارن بين ما جرى في المشرق الإسلامي وما حدث في المغرب، والمهم هنا أن هذه المقارنات لم تكن مجرد إضافة أكاديمية، بل كان يستخدمها للرد على المؤرخين الغربيين الذين تجاهلوا دور الجزائر والمغرب العربي في التاريخ، وبهذه الطريقة أثبت أن المنطقة لم تكن غائبة عن صناعة الحضارة الإنسانية بل كان لها حضور حقيقي فعال.

ت– الموضوعية والحرية:

[1] عبد القادر بكاري، "الجانب التاريخي في فكر الشيخ أبو القاسم سعد الله من خلال مقالاته في مجلتي الأصالة والثقافة"، **مجلة عصور الجديدة**، الجزائر، العدد 13، 2014، ص 335.

[2] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 78.

[3] الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 347.

تميّز سعد الله في كتاباته بالجمع بين الأمانة العلمية والانتماء الوطني، فهو مؤرخ كانت تكتنفه هموم الذات الحضارية للعرب والمسلمين وتيارات الحاضر وقد تجلى ذلك بوضوح في تعامله مع الظواهر الثقافية الجزائرية، كاعترافه بأن القرن التاسع الهجري شهد تراجعا واضحا في الإنتاج الثقافي[1]، إذ كان التزامه بشروط فحص الوثائق وترتيبها يتم على ضوء القوانين المنهجية، فأراد بعث التراث في قالب علمي وموضوعي بعيدا عن الإشادة أو والنقد المتسرع على حد سواء، وبذلك سعى إلى جعل دراسة التاريخ وسيلة لفهم الماضي بعمق لا مجرد أداة للدفاع أو الإدانة، وهي مقاربة قائمة على قراءة النصوص في سياقها التاريخي عبر تحليلها ونقدها وفق ظروفها الزمنية، معتمدا في ذلك على رؤية متوازنة تقوم على ما يمكن وصفه بالضمير الوطني الحر الذي يرفض التمجيد غير النقدي كما يرفض التجريح المتسرع[2]، ومن خلال هذا التوجه سعى إلى جعل دراسة التاريخ وسيلة لفهم الماضي بعمق لا مجرد أداة للدفاع أو الإدانة وقد عبر عن ذلك بقوله أن علم التاريخ: "إعادة بناء وإحياء الماضي كما كان لا كما يريده الفرد أن يكون"[3].

وقد انعكس هذا التكوين المنفتح على مشروعه التاريخي بصورة جلية، فدعا إلى التسلح بالمناهج العلمية الحديثة ورفض التاريخ الاستعراضي أو تاريخ المناسبات[4] الذي يفتقر إلى العمق والمنهجية، واجتهد في إبراز الحقائق التاريخية وإظهار قيمة الأبطال والرموز الوطنية في مواجهة ظاهرة الزهد في الكتابة التي شاعت في الوسط الجزائري وأفضت إلى التقليل من قيمة هذه الرموز.[5]

[1] المرجع نفسه، ص 349.

[2] المرجع نفسه، ص 351.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، مصدر سابق،ج1 ص 53.

[4] أبو القاسم سعد الله، في الصميم: عن الكتابة التاريخية، مصدر سابق، ص 8.

[5] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 61.

4- : السمات المميزة لمنهجه في الكتابة:

أ- المنهج الوصفي التحليلي والتسلسل الزمني:

جمع سعد الله في كتاباته بين وصف الأحداث التاريخية وتحليلها في آن واحد، مع حرصه على تنظيمها وفق تسلسل زمني واضح يمكن القارئ من متابعة تطورها وفهم ترابطها، ويتجلى ذلك بوضوح في تتبّعه لمسار الحركة الوطنية، حيث ينتقل من مرحلة إلى أخرى بشكل متدرج، فيعرض نشأة الأحزاب والتنظيمات السياسية وتطورها وعلاقاتها بالمحيط الدولي والمذاهب والأفكار المعاصرة وصولا إلى محطة أحداث 8 ماي 1945، في مسار يبدأ من الاحتلال سنة 1830[1] بما يبرز تطور الوعي الوطني وتصاعد المقاومة، ولا يكتفي بعرض الأحداث بل يعمل على تفسيرها ومناقشتها وتحليل الظواهر المرتبطة بها مع نقد آراء المؤلفين وتصحيح ما يراه من أخطاء، ساعيا إلى فهم العلاقات التي ربطت الحركة الوطنية بالأفكار والأيديولوجيات المعاصرة[2] والكشف عن تفاعلها معها، مع تقسيم المادة التاريخية إلى عناوين واضحة تيسر على القارئ استيعابها.

ب-التأريخ المركز واختيار الموضوعات:

ثمة سمة بارزة في منهج سعد الله تتمثل في اعتماده على طريقة التأريخ المركز من خلال معالجة المقتطفات الأساسية من التاريخ، إذ كان يرى أن توفر المادة الأرشيفية وحده لا يكفي كمسوغ للخوض في موضوع ما، فثمة تفصيلات دقيقة لا غنى عنها لاستكمال الكتابة التاريخية على الوجه المطلوب، لذلك كان يوجه جهده نحو الموضوعات التي تتوفر لها مادة تاريخية كافية تجعل الخطاب التاريخي متينا قابلا للنقاش والاستقراء وإعادة القراءة من زوايا مختلفة[3]

[1] مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، مرجع سابق، ص ص 183-184.

[2] المرجع نفسه، ص 184.

[3] سمير مزرعي، "الكتابة التاريخية عند المؤرخ أبي القاسم سعد الله بين المنهج التأملي والمنهج التحليلي النقدي"، **مجلة عصور الجديدة**، المجلد9 ،العدد3، 2019، ص353.

وقد يجد القارئ في بعض أعماله مثل (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر) مواضيع لا ترتبط ببعضها من ناحية التراتبية الزمانية، ولا من ناحية ترتيب الجوانب المعالجة في الفصل الواحد كأن يبدأ بالمواضيع السياسية ثم الاقتصادية ثم الفكرية، ومرد ذلك أنه كان يحاول التركيز على الموضوعات التي أصبحت المادة الأرشيفية والوثائقية متوفرة فيها بما يكفي لتتيح له مهمة التأريخ لها لأول مرة كونها لم تناقش من قبل[1]، وغالبا ما نجده يتعامل بهذا المنهج الفريد كمناقشة آراء شارل أندري جوليان[2] وآراء حمدان خوجة[3]، وقد كانت دواعي البحث التاريخي عنده تنبع أساسا من حب المعرفة والتطلع دائما إلى الإتيان بالجديد، إذ كان يبغض السير على أخطاء الآخرين، وكان أحب شيء إليه هو الكشف عن المجهول.[4]

ب- توظيف فلسفة التاريخ:

من مميزات الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله توظيفه لفلسفة التاريخ [5]، فقد كان يدرس الماضي كما هو في حقيقته وتحليله وفق منهج نقدي يربط بين الوقائع ودلالاتها، بما

---

[1] المرجع نفسه، ص 352.

[2] شارل آندري جوليان:(1991 – 1891) مؤرخ وصحفي فرنسي، يعد من أبرز المتخصصين في تاريخ وشؤون المغرب العربي، انتقل في الخامسة عشرة من عمره للعيش في الجزائر، حيث تابع دراسته ونال شهادة البكالوريا، ليعمل بعدها كاتبا بمحافظة وهران، تميزت مسيرته الأكاديمية بالتدريس في كبرى المؤسسات الفرنسية، ولا سيما معهد الدراسات السياسية بباريس، والمدرسة القومية للإدارة، وجامعة السوربون، انظر: عامر أقحيز، المؤرخ شارل أندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر، **مجلة قضايا تاريخية**، العدد2، 2016، ،ص 200.

[3] حمدان بن عثمان خوجة كاتب سياسي جزائري بارز درس القانون وأصبح أستاذا في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية، ناضل ضد الاحتلال الفرنسي من خلال انخراطه في لجنة المغاربة وحزب المقاومة، ودافع عن قضايا الجزائريين أمام الدول الأجنبية، اضطر إلى مغادرة وطنه إلى فرنسا بين عامي 1833 و1836م، ثم سافر إلى القسطنطينية واشتغل بالتأليف والترجمة وواصل نضاله بالقلم من أهم آثاره: كتابه الشهير (المرآة) عام 1833م، انظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 136،137.

[4] سمير مزرعي، المرجع السابق،ص 352.

[5] المرجع نفسه، ص 361.

يتيح فهما أعمق لمسار التاريخ، متوجها بذلك نحو نقد الأفكار والآراء التي روج لها المستعمر وسعى إلى ترسيخها على أيدي المستشرقين، وكانت معالجته تستند إلى نظرة شمولية تقوم على التحليل والنقد وفق جملة من الفرضيات، مع تقديم تأويلات مدعمة بالأدلة والحجج والبراهين التاريخية، وقد أسهم الصراع بين فلسفة التاريخ التأملية وفلسفة التاريخ النقدية التي برزت في أعقاب الحربين العالميتين في صقل نمط كتابته وتطويره، فنجده في كتابه (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر) ينتقد كثيرا من الآراء الفرنسية المترسبة في الموروث التاريخي منذ بدايات الاستعمار، كمفهوم الاستعمار التركي والعاطفة الذاتية ومصطلحات القومية والوطنية والوحدة الجزائرية التي حاول شارل أندري جوليان أن يجعل منها مفاهيم تصبّ في معنى الانفصال عن الحضارة العربية الإسلامية، بينما كانت في حقيقتها تعبيرا عن نضج الضمير القومي للمجتمع الجزائري.[1]

ت- الأبعاد التحليلية المتعددة:

ومن أبرز ما يميز منهج أبي القاسم سعد الله اعتماده على أسلوب يقوم على دراسة التاريخ من جوانب متعددة، فهو لا يعالج أي موضوع بمعزل عن سياقه التاريخي والاجتماعي، بل يحرص على فهمه في إطار مختلف العوامل والظروف التي أحاطت به، ولذلك، كثيرا ما تتضمن مقدمات بحوثه تحليلات اجتماعية وشروحات مفصلة، يعرض فيها آراء متعددة وقراءات متنوعة، قبل أن ينتهي غالبا إلى تحليل معمق، أو إلى تحليل مقرون بالنقد.[2]

5- أسلوب الكتابة:

تميّز سعد الله بلغة واضحة ومباشرة، حرص من خلالها على إبراز المادة التاريخية بعبارات سلسة تُوضّح المعنى المقصود، مع التزامه بمنهج واحد[3]، في متناول مختلف القراء،

[1] سمير مزرعي، المرجع نفسه، ص 361.

[2] المرجع نفسه، ص 362.

[3] عبد القادر بكاري، مرجع سابق، ص 338.

مع التزام صارم بأسس البحث التاريخي من حيث بناء الدراسة على مقدمة ومتن وخاتمة، والانطلاق من العنوان بوصفه مدخلا يحدد أبعاد الموضوع [1] كما كان يلتزم بالعبارة العلمية الواضحة في المواضع التي تقتضيها الكتابة، ويلجأ إلى التفصيل والتوسع في الشرح كلما دعت الحاجة إلى ذلك[2] وهذا الأسلوب ليس منفصلا عن مساره الفكري بل هو انعكاس طبيعي له، إذ بدأ أديبا مشغوفا بالأدب ثم تحوّل إلى مؤرخ يسجّل الأحداث ويعلّق عليها ويقومها[3].

وما يلفت الانتباه في مجمل كتاباته ومؤلفاته هو تمسكه بالموضوعية والأمانة في تناول الحدث التاريخي، فضلا عن براعته في التعامل مع المصادر من حيث قراءتها وتحليلها وتوظيفها في سياقها الصحيح، وقد اعتمد في ذلك على أدوات منهجية دقيقة تمكنه من استنطاق الوثائق واستخلاص نتائجها[4]، لا من موقع المشارك في الأحداث أو المتأثر بها، بل من موقع الملاحظ المتأمل القادر على فهم الأسباب وقراءة النتائج، ويضاف إلى ذلك حرصه الدائم على كتابة التاريخ الوطني الجزائري[5] الذي ظل مستأثرا باهتمامه طيلة مسيرته العلمية، وأمله المستمر في ظهور جيل من الباحثين المنشغلين بالكشف عن الهوية الجزائرية وإبراز إسهاماتها في الحضارة الإنسانية عموما والحضارة الإسلامية خصوصا.

يتضح مما سبق أن منهجية الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله كانت حصيلة تجربة إنسانية وفكرية متراكمة، فالظروف التي عاشها من مناخ الثورة التحريرية إلى تجربة الاغتراب وما أتاحته من انفتاح على المناهج الأنجلوسكسونية ومدارسها، كانت العامل الحاسم في تحوله من الأدب إلى التاريخ، ومنحت رؤيته خصوصية جمعت بين الانتماء الوطني

---

[1] فاطمة الزهراء رحماني، محمد دراج، "مساهمة النخبة الجزائرية في كتابة التاريخ الوطني من خلال مجلة الأصالة"، **مجلة دراسات وأبحاث**، المجلد 10، العدد4، 2018، ص 279.

[2] خالد بلعربي، مرجع سابق، ص 74.

[3] فاطمة الزهراء رحماني، محمد دراج ، مرجع سابق، ص 280.

[4] المرجع نفسه، ص 280.

[5] عبد القادر بكاري، مرجع سابق، ص 339.

العميق والانفتاح المنهجي الواسع، وقد أدرك سعد الله أن إحياء التاريخ الوطني يستلزم أولا مواجهة معيقات متجذّرة تراكمت عبر الزمن، وثانيا الالتزام بشروط علمية صارمة تجعل الكتابة التاريخية مشروعا رصينا لا مجرد استجابة عاطفية لنداء الهوية، وقد جسّد سعد الله بكتاباته التاريخية العلمية الدقيقة والموسوعية مشروعا متكاملا وظّف فيه أدوات التوصيف والتحليل والنقد والتوثيق لإعادة بناء الذاكرة التاريخية الجزائرية وإعادة الاعتبار لمكانة الجزائر الحضارية في مواجهة كل محاولات الطمس والتشويه.

الفصل الثالث:

موقف أبي القاسم سعد الله من بعض القضايا التاريخية:

الفصل الثالث: موقف أبي القاسم سعد الله من بعض القضايا التاريخية:

أولا: موقفه من الوجود العثماني في الجزائر.

ثانيا: موقفه من كتابات المدرسة الاستعمارية.

ثالثا: موقفه من كتابة تاريخ الثورة.

رابعا: موقفه من الأمازيغية.

سعى أبو القاسم سعد الله إلى معالجة قضايا تاريخية ظلت محل جدل واسع ومست هوية الجزائر ووجودها الحضاري، وقد انطلق في تناولها من ثوابت واضحة في مقدمتها الحرص على الوحدة الوطنية وصون الهوية الجزائرية، مما مكنه من بناء مواقف علمية متماسكة وقف من خلالها في وجه كل من سعى إلى تشويه الماضي الجزائري أو التشكيك في مقوماته الحضارية.

أولا: موقف أبي القاسم سعد الله من الوجود العثماني:

تعد الفترة العثمانية من أهم المحطات في تاريخ الجزائر الحديث، ولأهميتها حظيت باهتمام واسع من قبل المؤرخين والباحثين، وفي مقدمتهم أبو القاسم سعد الله، وإن لم يخصص لها مؤلفا مستقلا، باستثناء موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي في جزئيها الأول و الثاني(1500-1830)، إلا أن أحداثها وظواهرها كانت حاضرة بقوة في كتاباته وأبحاثه التاريخية[1]،وقد اشتغل من خلالها على نفض الغبار عن المخطوطات والوثائق النادرة، مما مكنه من الكشف عن علماء وأدباء جزائريين ظلوا مجهولين لوقت طويل، وإبراز مساهمة الجزائر الحضارية.

والمتتبع لكتابات سعد الله يلاحظ أن رأيه في فترة الحكم العثماني لم يكن حكما قاطعا أو نهائيا[2]، رغم حدته في محطات عديدة، بل احتكم في ذلك إلى لغة الوثائق والسياق التاريخي، وشهدت رؤيته تطورا بين مؤلفاته الأولى وكتاباته المتأخرة، حيث سعى إلى إنصاف هذه الفترة ووضعها في إطارها الزماني الصحيح بعيدا عن الأحكام المطلقة.

1- : الإيجابيات وما أقرّ به سعد الله للوجود العثماني:

أ- إنقاذ الجزائر من الخطر الصليبي وبناء الدولة:

[1] أحمد بن يغزر، "فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله"، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد 3، 2018، ص 82.

[2] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 330.

يرى سعد الله أن العثمانيين أنقذوا الجزائر والمغرب الإسلامي من خطر احتلال إسباني وبرتغالي صليبي محقق[1]، إذ استجاب الإخوة بربروس لداعي الجهاد الذي أطلقه الجزائريون، ونجحوا في تحويل الجزائر إلى إيالة إسلامية قوية ذات مكانة في البحر الأبيض المتوسط، صمدت طيلة ثلاثة قرون في وجه كل محاولات الغزو الخارجي، ويؤكد سعد الله أن هذه الفترة شهدت بزوغ ملامح الدولة الوطنية، حيث تشكلت السلطة المركزية ووضعت الحدود الجغرافية وسكت العملة[2]، وبرزت الشخصية الدولية للجزائر من خلال دبلوماسية نشطة ومعاهدات فرضت فيها الجزائر شروطها على القوى الكبرى، ويقر بأن الفضل في إنشاء فكرة الجزائر القطرية[3] يرجع بالدرجة الأولى إلى العثمانيين الذين أرسوا دعائم الدولة الجزائرية وشكّلوا ملامحها التي لا تزال قائمة إلى اليوم، من عاصمة وحدود سياسية وشكل جغرافي وأسطول بحري ومعاهدات دولية ووحدة ترابية ورفع راية، وهي منجزات تدعو إلى الفخر والاعتزاز[4].

ب- الازدهار الثقافي والعلمي في بعض الحقب:

أما في الميدان الثقافي والعلمي، فقد شهدت الجزائر في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة حركة علمية نشطة بفضل استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية، ويُقر سعد الله بدور بعض الحكام الذين شجّعوا الحركة العلمية، كصالح باي[5] في قسنطينة ومحمد

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ص 15.

[2] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ د أبو القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 113.

[3] مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، مرجع سابق، ص 200.

[4] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 330.

[5] صالح باي: ولد في مدينة إزمير بتركيا سنة 1739 م هاجر إلى الجزائر تفاديا للعقاب بعد تسببه في مقتل أحد أقربائه سنة 1755 تولى حكم مدينة قسنطينة سنة 1185 هـ إلى غاية سنة 1206 هـ الموافق لـ 1771م/1772م، أحمد بن المبارك بن العطار (1790- 1870)، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة 2011، ص ،98.

الكبير[1] في وهران، حيث ساهموا في بناء المدارس وتأسيس المكتبات وتشجيع التأليف، كما ظهر أدب جزائري وطني تميّز بروح الهوية الحديثة، وأشار سعد الله إلى أن الجزائريين كانوا واعين مبكرا بالتحولات التي يشهدها العالم آنذاك، حيث تابع علماء كابن العنابي وأبي راس الناصري أخبار الثورة الفرنسية وحملة نابليون وإصلاحات الجيوش الإسلامية في المشرق.

ب- **موقفه من الاستيطان والهوية:**

ينصف سعد الله العثمانيين إذ يؤكد أنهم لم يمارسوا استعمارا استيطانيا، فلم ينتزعوا الأراضي من أصحابها ولم يحاولوا طمس اللغة العربية أو فرض ثقافة غريبة على الشعب، بل شاركوا في بناء المساجد والزوايا وحافظوا على الأوقاف التي كانت الركيزة الأساسية للتعليم والخدمات الاجتماعية، وبنوا المساجد والزوايا وشيدوا دور العبادة وبيوت العلماء والحجاج[2] وإن كانت لدافع ديني تعبدي بحت.

ورغم الانتقادات التي وجهها لحكام العثمانيين، إلا أنه لا يحملهم وحدهم مسؤولية تراجع أوضاع الجزائر، بل يرى أنها مسؤولية مشتركة لأهل البلاد دور كبير فيها أيضا[3]، فالجزائريون أنفسهم استنجدوا بالعثمانيين وطلبوا دعمهم والتحالف مع الخلافة الإسلامية في مواجهة التهديدات الخارجية، مما يجعل تدخل الأسطول العثماني في البداية استجابة لطلب السكان لا فرضا عليهم، كما يشير إلى الدور السلبي لفرنسا التي عملت على عرقلة أي محاولة للنهوض الثقافي أو الإصلاح التعليمي بهدف إبقاء الجزائر في حالة ضعف وانعزال يسهل السيطرة

---

[1] الباي محمد الكبير: ولد بمليانة بين سنتي 1734 و 1739، ونشأ في بلاط الحكم، وحكم بايلك الغرب من 1779 إلى 1797 واشتهر بحزمه وشجاعته والتزامه بمبدأ الشورى، وقد أسهم إلى جانب ذلك في تنشيط الحركة الإصلاحية، فاعتنى بالثقافة وبنى المدارس للطلبة ووفر لهم المؤن وهيأ لهم وسائل المعرفة، انظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم،ط1، عالم الكتب، القاهرة،1969، ص ص 24- 25.

[2] أبو القاسم سعد الله، **حصاد الخريف**، ط1، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 121

[3] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ د أبو القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 112.

عليها لاحقا، وبذلك يخلص إلى أن تدهور الأوضاع عشية الاحتلال لم يكن نتيجة وضع متردٍّ في المجتمع الجزائري وحده، بل نتيجة تراكم عوامل سياسية داخلية وضغوط خارجية فرضها المستعمر.

2- : مآخذ سعد الله على الوجود العثماني:

أ- على الصعيد السياسي والإداري:

في المقابل، تتجلى مآخذ الوجود العثماني في الجزائر ولا سيما في مراحل ضعفه في جوانب عدة رصدها سعد الله وتناولها بالنقد والتحليل، فعلى الصعيد السياسي والإداري كان نظام الوجاق قد سيطر على البلاد وأغلق نوافذها أمام المؤثرات الأوروبية وفرض عليها عزلة داخل حدودها التقليدية، وقد تراكمت نتائج هذا الانغلاق حتى أوصلت البلاد إلى حالة متردية من الإقطاع وظلم الحكام والتخلف العلمي، فلما جاء الجيش الفرنسي عام 1830 لم يجد أمامه ما يعيقه، وعجز الوجاق عن الدفاع عن البلاد التي أُوكلت إليه حمايتها[1]، وأسهم بصورة غير مباشرة في تهيئة الظروف التي مهّدت لدخول الفرنسيين من خلال ما خلّفه من ضعف في مؤسسات الدولة وقدراتها.

أما على صعيد السلطة ونظام الحكم، فقد احتكر الأتراك المناصب العليا وأُقصي الجزائريون الأصليون من دوائر القرار، فكان أبناء البلد غرباء في وطنهم ولا يحق لهم المشاركة في تسيير شؤونهم، وحصر توظيفهم في الوظائف الثانوية، كما أتاحت السلطة العثمانية لطائفة اليهود نفوذا واسعا في الجانب الاقتصادي[2]، وتميز حكمها بعدم المساواة في تطبيق أحكام الشريعة بين المسلم الجزائري والمسلم العثماني، والظلم والاستبداد،[3] وزاد الأمر سوءا أن تداول

[1] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، (بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 5.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مصدر سابق، ص 15.

[3] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ د أبو القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 113.

السلطة بين الباشوات والدايات كان يقوم في الغالب على العنف الدموي والغلبة وتأييد أو سخط الانكشارية[1]، مما أفرز فسادا إداريا ومظاهر رشوة وتعديا على أموال الأوقاف وحقوق الضعفاء، واتسم الحكم بالجفاء والغلظة في التعامل مع السكان، وطبعته كثرة الانقلابات وقصر فترات الحكم[2]مما أضعف مؤسسات الدولة.

ب-الإهمال الثقافي والتعليمي وانعكاساته:

ب-1- الإهمال الثقافي:

أما أشد المآخذ تأثيرا عند سعد الله فكانت في الميدان الثقافي والتعليمي، إذ يعيب على السلطة العثمانية إهمالها تأسيس مؤسسة علمية كبرى في الجزائر على غرار القرويين أو الزيتونة أو الأزهر[3]، وهو إهمال حرم البلاد من نخبة علمية قادرة على تأسيس تحوّل حضاري ومواكبة العصر، فالتعليم وإن انتشر كميا ظل حبيس الأطر التقليدية القائمة على الحفظ والتكرار بعيدا عن العلوم العقلية والفنون والإبداع، كما أن الفوارق اللغوية والثقافية بين الحكام والشعب أضعفت الإنتاج الثقافي الرسمي، فلم يتكلموا لغة أهلها[4] ولم يتذوقوا أدب البلاد ولم يتصلوا بعلمائها، مما دفع كثيرا من الكفاءات الجزائرية إلى الهجرة طلبا للعلم في الخارج دون عودة، ويقول في ذلك: "أما العثمانيون فينطبق عليهم القول «فاقد الشيء لا يعطيه»، فقد كانوا في الجزائر كما في بقية الولايات العربية وغيرها يتبعون نفس السياسة، وهي عدم التدخل في الشؤون التعليمية والثقافية، وهذه سياسة إسلامية متوارثة، ومن أراد من الخلفاء والأمراء

[1] أبو القاسم سعد الله، "**أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة**"، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 51، 1979، ص 14.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مصدر سابق، ص 15.

[3] المصدر نفسه، ص 18.

[4] جبران لعرج، "تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 7 العدد 3 ديسمبر 2021، ص 184.

المسلمين المساهمة في ميدان العلم والثقافة فإنه يفعل ذلك بمبادرة شخصية فهو يقرب إليه العلماء وأهل العلم، وهو يمنح الشعراء والكتاب"[1].

ب-2- انعكاسات تراجع المستوى العلمي:

وخلاصة ما يراه سعد الله أن الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي كانت تعيش انحطاطا حضاريا حقيقيا شهد عليه القناصل الأجانب أنفسهم، ومن مظاهر تراجع المستوى العلمي في تلك المرحلة انتشار الدروشة والتخلف السياسي، مما دفع العلماء إلى توجيه نشاطهم الذهني نحو دراسة تراث السابقين الذي تعاملوا معه بنوع من التقديس[2]، وظهر ما يعرف بأدب الشروح، وهو نظم ينظمه الأديب في موضع سياسي أو ديني أو مديحي ثم يقوم هو أو غيره بشرحه والتعليق عليه[3]، فاختصروا المطوّلات ووسّعوا المختصرات وفسّروها، وشمل ذلك مختلف العلوم كالفقه والنحو والتصوف والسيرة والتوحيد والمنطق، وكان العالم إذا لم يجد ما يشتغل بشرحه من الآثار السابقة اتجه إلى إنتاجه الخاص، فينظم قصيدة أو يؤلف متنا في موضوع معين ثم يشرحه بنفسه، وقد يتجاوز الأمر ذلك إلى التشارك، حيث يؤلف أحد العلماء مختصرا ويُسند إلى غيره مهمة شرحه، ولم يكن ذلك سائدا لدى علماء الجزائر وحدهم بل كانت ظاهرة منتشرة في الأوساط العلمية آنذاك، كما برزت ظاهرة الجمع بين علوم متعددة، فكان العالم يفتخر بإحاطته بعلوم النقل والعقل معا وإن كانوا لا يتعمقون في كل علم، وانعكس هذا التنوع في مؤلفاتهم التي ضمّت إلى جانب المادة العلمية طرائفا وأخبارا وحكايات مختلفة، حتى عُدّ من يقتصر منهم على علم واحد ناقصا، كما انتشرت بينهم ظاهرة الحفظ، فكان بعضهم يحفظ كتبا

[1] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ د سعد الله**، مرجع سابق، ص 111.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، مصدر سابق، ص 21.

[3] أبو القاسم سعد الله، **حبر على ورق**، طبعة خاصة، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 99.

كاملة ويتباهى بذلك ومع ذلك ألّف علماء الجزائر في معظم العلوم المعروفة في عصرهم باستثناء الفنون[1].

وفي الوقت الذي كانت فيه الجزائر في عهود سابقة تشهد عقد المجالس العلمية والمناظرات كما كان الحال لدى أمراء بني زيان وبني حفص، وهي بيئة كانت مشجعة على تنافس العلماء وتطوير المواهب ومعالجة القضايا المتعددة، نجد أن ذلك كان غائبا في ظل السلطة العثمانية التي لم تشجع العلماء والشعراء على الإبداع، وبقي الإنتاج الأدبي والتاريخي والعلمي مرتبطا ببلاطات الحكام فقط[2]، وزاد من هذا التراجع غياب مؤسسات التعليم العالي كجامعة أو معهد علمي، الأمر الذي دفع كثيرا من العلماء إلى التكوّن خارج البلاد ومنهم من لم يعد إليها، في ظل غياب بيئة مشجعة جعلت كثيرا منهم يكتفون بقدر محدود من التحصيل.

يخلص سعد الله إلى أن العهد العثماني جمع بين منجزات تاريخية لا يمكن إنكارها وإخفاقات حضارية عميقة لا يمكن تجاهلها، وهو في ذلك لا يبتعد كثيرا عن موقف أغلب المؤرخين المشارقة الذين ذهبوا إلى أن الوجود العثماني في الجزائر لا يختلف عن الاحتلال[3]، غير أن سعد الله أضاف إلى هذا الموقف بُعدا آخر إذ لمح في أكثر من موضع إلى جوانب إيجابية لهذا الوجود لا يرى إغفالها، فمن جهة أرسى العثمانيون دعائم الدولة الجزائرية وشكلوا ملامحها التي لا تزال قائمة إلى اليوم، بل إن هذه الحقبة كانت زاخرة بالعطاء الأدبي خلافا لما روج له المدافعون عن الاستعمار الفرنسي من تصويرها مرحلة مظلمة[4] ومن جهة أخرى لم يخل هذا العهد من ظلم واستبداد وتمييز بين السكان وخرق لأحكام الشريعة الإسلامية، غير أن سعد الله يحرص دائما على تحديد المسؤولية بدقة فيضعها على عاتق أمية الحكام وانغلاقهم

[1] المصدر نفسه، ص 22.

[2] المصدر نفسه، ص18.

[3] محفوظ حني، "مواقف الدكتور من التواجد العثماني في الجزائر"، **مجلة الدراسات التاريخية**، المجلد 23، العدد 2، 2023، ص 427.

[4] أبو القاسم سعد الله، **حبر على ورق**، مصدر سابق، ص 100.

السياسي لا على الإسلام الذي بقي في نظره الملاذ الوحيد الذي صان هوية المجتمع الجزائري وحفظ تماسكه، مما يدعو الباحثين الجدد إلى مزيد من التنقيب والاستكشاف في هذه الحقبة الغنية.

ثانيا: موقفه من كتابات المدرسة الاستعمارية:

لقد رافقت الجيوش الفرنسية منذ دخولها الجزائر بعثات فكرية وثقافية ممنهجة كانت جزءا من الغزو العسكري[1]، إذ أدرك المستعمر أن احتلال الأرض وحده لا يكفي ما لم يصاحبه احتلال الذاكرة، فوجه جزءا من جهوده نحو إعادة كتابة تاريخ الجزائر وفق رؤية تخدم مصالحه، ولخدمة هذا المشروع سخرت فرنسا مجموعة من الوسائل والهيئات العلمية، فأنشأت وزارة الحربية عام 1837 لجنة (اكتشاف الجزائر العلمي)[2] التي نشرت دراسات في الآثار والعلوم الطبيعية والفنون والتاريخ، وقبلها أنتجت اللجنة الأفريقية عام 1833 تقارير غنية عن أحوال الجزائر الاقتصادية والاجتماعية، وعلى صعيد الجمعيات والدوريات، ظهرت جمعية قسنطينة للآثار عام 1852، ثم (الجمعية التاريخية الجزائرية) عام 1856 التي أصدرت (لمجلة الأفريقية)، وهي المجلة التي يعترف سعد الله بأنها غدت مرجعا لا غنى عنه للباحثين رغم خلفيتها الاستعمارية، أما على صعيد المكتبات والمتاحف، فقد ظهرت (مكتبة مدينة الجزائر) عام 1835 وأُضيف إليها متحف أثري[3]، فأصبحا معا وعاء للمخطوطات العربية المنهوبة، تحوّلت من رصيد ثقافي لأصحابها إلى أداة في يد الباحث الاستعماري.

1- مراحل نشأة المدرسة الاستعمارية

[1] محمد بن شوش، الغزو الفكري للجزائر(1830-1870)، **مجلة المصادر الجزائر**، العدد 18، 2008، ص 87.

[2] أبو القاسم سعد الله، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، الجزائر،العدد 14-15، 1973، ص 7.

[3] المصدر نفسه، ص 9.

مرّت هذه المدرسة بثلاث مراحل متعاقبة:

أ. مرحلة ما قبل عام 1830:

تنوعت فيها أطراف الكتابة بين رجال دين ومبعوثين حكوميين وجواسيس ورحالة[1]، وإن اشتركوا جميعا في هدف جمع المعلومات عن الجزائر لأغراض متعددة.

ب. عهد المؤرخين العسكريين بين 1830 و1880:

تولّى فيه الضباط والمترجمون العسكريون كتابة تاريخ محكوميهم لا بدافع علمي بل لخدمة أغراض السيطرة والإدارة، مستعينين بالمصادر الشفوية والمكتوبة التي جمعوها بالإغراء تارة وبالضغط تارة أخرى، وقد أنتج هؤلاء أعمالا متنوعة من أبرزها مشروع "اللوحة" في سبعة عشر مجلدا الذي لا يزال مرجعا للباحثين.

ج. عهد المؤرخين الاختصاصيين بين 1880 و1954:

مع تأسيس المدارس العليا ثم جامعة الجزائر عام 1909، تطوّرت الكتابة التاريخية أكاديميا لكنها ظلت مرتبطة بخدمة المشروع الاستعماري، وبلغ ذلك ذروته في احتفالات المئوية عام 1930 حين سخّر جزء كبير من الإنتاج التاريخي لتمجيد الاحتلال وتبريره وتصويره على أنه جاء لتحرير الجزائر من الاستبداد العثماني[2].

غير أن هذه الكتابات في مجملها ومنذ مراحلها الأولى لم تخرج عن الرؤية الاستعمارية، ويرجع سعد الله هذه الظاهرة إلى غياب حركة توثيق وطنية منظمة في الجزائر، إذ لم يتول أبناؤها مهمة تسجيل أحداثها وتوثيق تاريخها إلا نادرا، وتركوا هذا الدور لغيرهم ممن لا ينتمون إلى هذا المجتمع، بل كان كثير منهم أعداء للجزائر أو غرباء عن همومها وهويتها، وتجلّى

[1] الغالي غربي، عطالله فشار، "المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر"، **مجلة دراسات وأبحاث**، الجزائر، العدد 26، 2017،ص 249.

[2] محفوظ حني، مرجع سابق، ص 428.

ذلك في احتكار أقلام أجنبية لكتابة تاريخ الجزائر عبر عصوره المختلفة، فقد هيمن ستيفان غزال[1] على التاريخ القديم، وتولّى غوتييه[2] التاريخ الوسيط، فيما استأثر غرامون[3] بالتاريخ العثماني، وأجيرون بالتاريخ المعاصر، وجوليان بالتاريخ العام،[4] وقد أدى هذا الغياب إلى نتيجة بالغة الخطورة، إذ احتلت الرواية الاستعمارية الفراغ الذي خلّفه المؤرخ الوطني، وظهرت كتابات تاريخية تنظر إلى الجزائر من منظور أجنبي منحاز.

2- : **سمات الكتابة الاستعمارية وأبرز مآخذ سعد الله عليها:**

أ- الرسالة الحضارية بوصفها تبريرا إيديولوجيا للاستعمار:

[1] ستيفان غزال: ولد سنة 1867 في سويسرا دخل مدرسة الأساتذة بين (1883-1886)، ثم أصبح عضوا في المدرسة الفرنسية لروما المتخصصة في تاريخ الفترة الرومانية بقي فيها إلى غاية حصوله على الدكتوراه عين بقرار وزاري عام 1890م كمكلف بالدروس في آثار وتاريخ شمال إفريقيا القديمة في مدرسة الآداب بالجزائر وفي عام 1994 أصبح أستاذا بكرسي الآثار القديمة ثم مفتشا للآثار في الجزائر سنة 1900م، انظر: أورفه لي محمد الخير، ستيفان قزال الأستاذ والباحث في تاريخ وآثار الجزائر القديمة، **مجلة آثار**، العدد8، 2010، ص18

[2] ليون جوتييه: ولد في مدينة سطيف بشرق الجزائر في الثامن عشر من يناير 1862، وتلقى تكوينا أكاديميا رصينا شمل اللغة العربية وآدابها والنحو وتاريخ الحضارة الإسلامية، وقد أسهمت ثقافة عصره في تشكيل توجهاته الفكرية وصبغتها بصبغة واضحة، انظر: أنور محمود زناتي، المستشرق الفرنسي ليون جوتييه (1862-1994) ودوره في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب، **مجلة دراسات استشراقية**، العدد37، 2024، ص ص 164، 165

[3] شارل روبير أجيرون :(2008 - 1923) مؤرخ فرنسي بارز مختص في التاريخ الاستعماري وتاريخ الجزائر المعاصر، درّس بعدة جامعات فرنسية منها السوربون، ويُعد كتابه "الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919" من أهم المراجع الأكاديمية في هذا التخصص، انظر: لطرش حنان، السياسة الدينية الفرنسية وتأثيرها على المجتمع الجزائري من خلال كتاب روبير =أجيرون الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، الجزائر، المجلد8، العدد 2، 2009، ص60.

[4] أبو القاسم سعد الله، **في الجدل الثقافي**، مصدر سابق، ص 232.

وظّفت المدرسة التاريخية الفرنسية التاريخَ توظيفا ممنهجا لخدمة الاستعمار، وذلك على مستويين متلازمين: الأول هو تشويه صورة الجزائر وتاريخها، والثاني هو تقديم الاحتلال في صورة مشروع حضاري ونبيل.

على المستوى الأول، مارس هؤلاء المؤرخون ما نعته سعد الله بالنفي الحضاري[1]، إذ عملوا على طمس الهوية الجزائرية بكل مكوناتها وتجاهلهم التام للتاريخ العربي والإسلامي، ووصف الفاتحين المسلمين بالغزاة، بل وأنهم كانوا أسوء من الوندال[2] ونفي وجود أمة جزائرية قبل سنة 1830. ومن أبرز ملامح هذه الرؤية المشوّهة:

- وصف المجتمع الجزائري بالبدائية والبعد عن المدنية والتحضر.
- تصوير الجزائري بأنه قابل للغزو الأجنبي، عديم الأهلية للاستقلال[3]، دائم الثورة على السلطة ولا يخضع إلا بالقوة.
- إنكار مساهمة الجزائريين في بناء المدن وإنشاء المؤسسات الحضارية.
- نفي وجود طبقة مثقفة تتذوق الفن والأدب والفلسفة.
- وصف السكان بالكسل والرجعية وتحميلهم مسؤولية خراب الأرض، لتبرير تطبيق قوانين قمعية كقانون الأهالي عام 1871.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 54.

[2] أبو القاسم سعد الله، **حصاد الخريف**، مصدر سابق، ص 76.

[3] محمد الشريف ساحلي، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، محمد هناد، ص11.

هنري دلماس دوغرمون : باحث فرنسي مهتم بتاريخ الجزائر في العهد العثماني، استقر بالجزائر عام 1859، ورغم عدم انتمائه للسلك الأكاديمي أو العسكري، فقد ترأس الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1878 وكان من أبرز كُتّاب "المجلة الأفريقية"، يُعد كتابه "تاريخ الجزائر تحت الحكم العثماني" (1887) من أشهر أعماله، انظر: حنيفي هلايلي، ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، من خلال تجربتي دوفولكس ودي غرامون، **مجلة الحوار المتوسطي**، الجزائر، العدد1، 2009، ص 12.

- الحديث عن الإسلام الجزائري بوصفه مختلطاً بالشعوذة والطقوس الفلكلورية.[1]

لم تقتصر الكتابة التاريخية الاستعمارية على إعادة تشكيل صورة المجتمع الجزائري، بل امتدت إلى إقصاء الجزائريين من موقع الفاعل التاريخي ذاته، فلم يعترف هؤلاء المؤرخون بالجزائريين بوصفهم أصحاب تاريخ وإرادة، بل تعاملوا معهم كموضوع للوصف والتصنيف لا أكثر، فكانوا إما غائبين تماما عن صفحات التاريخ، أو حاضرين فقط حين يخدم ذكرهم الرواية الأوروبية، وهذا الغياب لم يكن مجرد إهمال أو نسيان، بل كان مقصودا، لأن الكتابة الاستعمارية لا تُفسح المجال للمستعمَر إلا بالقدر الذي يثبت فيه صورة الأوروبي المتحضر في مقابل الآخر المتخلف.[2]

أما على المستوى الثاني، فقد عمل هؤلاء المؤرخون على تحويل الغزو من فعل عسكري إلى فعل مبرَر أيديولوجيا باسم الحضارة و جعلوا الاستعمار يظهر في صورة تدخل ضروري لإلحاق المجالات المستعمَرة بعالم متحضر[3]، وفي حالة الجزائر رُبط هذا الخطاب بالماضي الروماني والمسيحي لشمال إفريقيا واعتبار الاحتلال استعادة لتراث روماني مفقود[4]، وكان هذا التبرير ينطوي على بعد ديني واضح، حيث كانت تقوم وراء هذه الرسالة الحضارية العلمانية أجندة دينية، فقد نُظر إلى غزو الجزائر بوصفه فرصة لإعادة المسيحية إلى مكانتها المشروعة،

[1] أبو القاسم سعد الله، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سايق، ص 121.

[2] Rosalie Calvet, A Critical Approach to the French Historiography of Colonial Algeria: Thwarting the Other, MA Thesis, Columbia University, 2017, p. 37.

[3] Bullard, A., Exile to Paradise: Savagery and Civilization in Paris and the South Pacific, 1790–1900, Stanford, Stanford University Press, 2000.

[4] عبد الكريم قرين، المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة وأهميتها في كتابة التاريخ الوطني، أعمال الملتقى الوطني الأول الموسوم بالذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني بشعار للأمجاد أعلام وللتاريخ أقلام،ج2، ص55.

وقد استمر هذا التصور طوال المرحلة الاستعمارية[1]، ومن ثمة فإن المدرسة الاستعمارية أعادت قراءة الماضي الجزائري، ولا سيما الماضي الروماني والمسيحي، لتجعل الاحتلال يبدو وكأنه امتداد حضاري وديني مشروع، لا فعلا استعماريا مفروضا على مجتمع قائم بذاته.

ب- تهميش الشعب الجزائري:

تمثّلت إحدى أبرز سلبيات هذه الكتابات في تهميش الشعب الجزائري عند تناول تاريخ البلاد، إذ صوّرت الجزائر على أنها مجرد مجال جغرافي تعاقبت عليه شعوب مختلفة، لا مجتمعا متماسكا، بل قبائل متفرقة تعيش صراعات دائمة ولا تخضع إلا لقوى خارجية كالرومان والأتراك والفرنسيين، وذلك لتبرير وجود هذه القوى، بل امتد هذا التهميش إلى إقصاء الجزائريين من دور الفاعل في تاريخهم، فلم تعترف بهم الكتابة الاستعمارية بوصفهم شعبا له إرادته ووعيه، بل جعلتهم موضوع دراسة لا أصحاب تاريخ ، بالإضافة إلى نفي وجود تاريخ إسلامي سابق للاستعمار، أو التقليل من شأن المجتمع الجزائري قبل الوجود الفرنسي إذ أن "السكان الأصليين كانوا إما غائبين، أو حاضرين بوصفهم مجرد دال على الآخرية فحسب". وبذلك لم يكن غياب الجزائريين عن هذه الكتابات صدفة، بل كان خيارا متعمدا يخدم الخطاب الاستعماري الذي لا يعترف بالمستعمَر إلا بالقدر الذي يبرر فيه وجود المستعمِر،[2]. فقد روّجت مؤلفات كثيرة لهذه الرسالة الحضارية، بينما أنكرت في الوقت ذاته وجود حياة ثقافية وفكرية

[1] Fenwick, Corisande, "Archaeology and the Search for Authenticity: Colonialist, Nationalist, and Berberist Visions of an Algerian Past", in C. Fenwick, M. Wiggins and D. Wythe (eds.), TRAC 2007: Proceedings of the Seventeenth Annual Theoretical Roman Archaeology Conference, London 2007, Oxford, Oxbow Books, 2008, pp. 75–88, p. 77.

[2] https://sites.asit.columbia.edu/wp-content/uploads/sites/29/2016/06/Calvet_Thesis.pdf
Rosalie Calvet, A Critical Approach to the French Historiography of Colonial Algeria: Thwarting the Other, MA Thesis, Columbia University, 2017, p. 37.

حقيقية للجزائريين قبل الاحتلال، ومن هنا يتضح أن المدرسة الاستعمارية لم تكتفِ بكتابة تاريخ الجزائر، بل أعادت تشكيله بما يخدم شرعية الوجود الفرنسي، ويجعل الاستعمار يبدو فعلا حضاريا لا احتلالا عسكريا[1]

ب- التبعية للسلطة الاستعمارية:

أدت تبعية المؤرخين الفرنسيين للسلطة الاستعمارية إلى التأثير في موضوعية أعمالهم، حيث غابت عنها روح البحث العلمي المحايد، وانعكس ذلك في اختياراتهم، إذ ركزوا على الجوانب الاقتصادية والإدارية والعسكرية المرتبطة بنشاط الاستعمار وحركة الجيش، مثل الثورات المحلية والانقلابات وغياب الأمن[2] وحتى عند تناولهم قضايا دينية أو قبلية كان ذلك بدافع فهمها بغرض التحكم فيها، وفي المقابل أُهملت جوانب أساسية من تاريخ الجزائريين، خاصة السياسية والثقافية والاجتماعية، كما أن إشكالية كتابة تاريخ الجزائر لا تكمن فقط في كثافة الإنتاج الاستعماري الفرنسي، بل في استمرار أثره داخل المعرفة اللاحقة حتى في بعض الدراسات الأنجلوسكسونية التي ابتعدت عن المصدر الفرنسي في طرحها، ومن ثَمة، فإن تجاوز المدرسة الاستعمارية لا يتحقق بمجرد الكتابة عن الجزائر من منطلقات غير فرنسية، وإنما يقتضي تفكيك الخطابات التي أعادت إنتاج التصنيفات الاستعمارية نفسها ذلك أنه ما يزال هناك الكثير مما ينبغي القيام به، وطريق طويل ينبغي قطعه، للإسهام في نزع حقيقي للاستعمار عن المعرفة في هذه المنطقة من شمال إفريقيا، ولا يتحقق ذلك لا يكون بالاعتماد الكثيف على مؤرخي المدرسة الفرنسية، ولا على النخب المثقفة المتفرنسة، بل بتفكيك هذه

[1] https://sahistory.org.za/sites/default/files/archive files/phillip_c._naylor_france_and_algeria_a_history_book4me.org_copy.pdf Phillip C. Naylor, France and Algeria: A History of Transformation, Gainesville, University Press of Florida, 2000, p. 15.

[2] مولاي بالحميسي، "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في االعهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، الجزائر، العدد 5، 1988، ص 105.

الخطابات نفسها، لأنها لا تعيد إنتاج التصنيفات الاستعمارية فحسب، بل هي ذاتها نتاج للكولونيالية.[1]

ت- الانتقائية في تناول الحقب التاريخية:

أما من حيث ترتيب الأولويات، فقد أولوا عناية خاصة للفترة الاستعمارية الممتدة من 1830 إلى 1954، تليها عصور الرومان والمسيحية والبيزنطيين، في حين همّشوا تاريخ العرب والمسلمين واعتبروه فترة غامضة رغم ما شهدته من تحرر سياسي وتنظيم داخلي، كما قلّلوا من أهمية العهد العثماني الذي عرف توحيدا سياسيا وإداريا للجزائر، وتكشف هذه الكتابات عن تصوّر يعتبر الجزائر أرضا انتزعت من الغرب لصالح الشرق في مرحلتين، الأولى مع الفتح الإسلامي والثانية مع العهد العثماني، وقد تعزّز هذا التوجه في مناسبات رسمية، خاصة خلال الذكرى المئوية للاحتلال سنة 1930، حيث انعقد بالجزائر المؤتمر الوطني الفرنسي الثاني للعلوم التاريخية تحت شعار تبرير الاستعمار والتأريخ له ودعم استمراره.

3-: إسهامات المدرسة الاستعمارية العلمية:

على الرغم من هذا النقد الصارم، لم يغفل سعد الله ما خلّفته هذه المدرسة من إسهامات، فقد تركّزت جهودها في جمع المصادر وحفظها وإتاحتها للباحثين، مع نشر العديد من الآثار العربية الإسلامية بلغاتها وأحيانا بنصوصها الأصلية، كما اعتمدت أساليب حديثة في التصنيف

[1] Abdelmajid Hannoum, "Writing Algeria: On the History and Culture of Colonialism," The Maghreb Center Journal, no. 1, 2010, p. 18.

https://maghrebcenter.wordpress.com/wp-content/uploads/2011/07/maghrebcenter-journal-issue-1-a-hannoun-writing-algeria.pdf

والتنظيم وشجّعت التعاون العلمي وتبادل الخبرات، مع اتباع منهج نقدي قائم على التمحيص والشك[1]

ثالثا: موقفه من الأمازيغية:

تبنى أبو القاسم سعد الله موقفه من الأمازيغية انطلاقا من مبدأ الحفاظ على الوحدة الوطنية وتماسك المجتمع الجزائري والتأكيد على الروابط المشتركة بين مكوناته[2]، وقد ارتبط هذا التوجه بوعيه بالمشروع الاستعماري الفرنسي الذي سعى إلى تفريق هذه المكونات وإضعافها، مما دفعه إلى التصدي للسرديات التي روّجت لها، خاصة تلك التي استهدفت الهوية الجزائرية وامتدادها العربي الإسلامي.

1-الجذور الاستعمارية للمسألة الأمازيغية:

للوقوف على أصل هذا الطرح ينبغي الرجوع إلى البدايات الأولى للمدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية التي سعت إلى معرفة المجتمع الجزائري بهدف التحكم فيه، فقد عرف الفرنسيون منذ بداية الاحتلال أهمية اللغة العربية[3] ولهجاتها ووظفوها كوسيلة لفهم الشعب الجزائري وتطبيق سياسة الفصل والتجزئة، وعلى هذا الأساس جاءت دراسة الأمازيغية، فلخدمة سياسة (فرق تسد) اعتمد الاستعمار الفرنسي على المستشرقين لخلق ما يسمى بـ(المسألة البربرية)، وقد ظهر ذلك من خلال التركيز الكبير على الدراسات اللغوية والاجتماعية التي حاولت إبراز الاختلافات بين الجزائريين.

وقد وظّف الخطاب الاستعماري ثنائية العرب والأمازيغ كأداة لتفكيك وحدة المجتمع الجزائري، من خلال تقديم الأمازيغ ولا سيما القبائل بوصفهم أقرب إلى أوروبا عرقا وثقافة

[1] أبو القاسم سعد الله، **منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر**، مصدر سابق، ص 19.
[2] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، مصدر سابق، ص 18.
[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ج 8**، مصدر سابق، ص 13.

وتنظيما اجتماعيا، إذ زعموا أن سكان منطقة بجاية تحديدا يشتركون في خصائص القبائل الجرمانية التي عاشت في ظل الإمبراطورية الرومانية ومن ثمة فهم أكثر (أوروبية) من العرب[1] في مقابل تصوير العرب بوصفهم عنصرا دخيلا وافدا، بل ذهبوا إلى أن دراسة قراهم وإدارتهم قد تكشف عن الجذور الأولى للحضارة الغربية[2]، وفي الوقت نفسه، حرصوا على تصوير العرب بوصفهم غرباء عن شمال إفريقيا لا صلة تاريخية حقيقية تربطهم بها إذ اعتُبروا غزاة وصلوا إلى المنطقة في موجتين في القرنين السابع والحادي عشر.[3]

ولم تتوقف هذه التصورات عند حدود الوصف الاجتماعي، بل امتدت إلى التشكيك في البعد الديني للأمازيغ من خلال الادعاء بأنهم لم يعتنقوا الإسلام عن اقتناع وإنما فرض عليهم بالقوة "وأنهم تقبلوا القرآن تحت وطأة السيف"[4]، بهدف إضعاف الرابط الديني المشترك الذي يجمع مكونات المجتمع الجزائري بما يسهل اختراقه ثقافيا وسياسيا.

ولإعطاء هذا المشروع طابعا علميا تم تأسيس (كرسي البربرية) في كلية الآداب سنة 1880 على يد الباحث باصييه[5] الذي كتب أكثر من خمسة وعشرين عملا في هذا المجال[6]، وركّز الفرنسيون في الوقت ذاته على تأليف القواميس لتكريس الانقسام اللغوي، فأُلّفت قواميس

---

[1] Lapène, R., *Vingt*-Six *Mois à Bougie*, Paris, Anselin, 1839, p. 117.

[2] Masqueray, E., *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie*, Paris, Ernest Leroux, 1886, p. 50.

[3] Fenwick, Corisande, « Archaeology and the Search for Authenticity… », op. cit., p. 78

[4] همال عبد السلام،"المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830–1962) الأسطورة القبائلية البربرية نموذجا"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، العدد 8، 2015، ص 29

[5] هنري باصييه (1855–1924): أنشأ كرسي البربرية المهتم بلهجات بني مزاب والقبائل والأوراس تولى تدريسها له أعمال كثيرة ومتنوعة عربية وفي اللغة والدين والتاريخ، انظر: حاج بنيرد،التنوع اللهجي في الجزائر والاحتلال الفرنسي (روني باسييه ووليام مارسيه أنموذجا) **مجلة معالم**، المجلد4، العدد1، 2012، ص21.

[6] هزرشي بن جلول، "الاستشراق والاحتلال الفرنسي للجزائر.. أية علاقة؟"، **مجلة المفكر**، المجلد 8، العدد1، 2024، ص 203

من بينها قاموس فرنسي–شاوي وفرنسي–قبائلي وفرنسي–تارقي، بل شارك في هذه العملية رجال دين أيضا، ولم تتوقف هذه الجهود عند اللغة بل امتدت إلى دراسة العادات والتقاليد لإثبات وجود فوارق اجتماعية بين سكان الجزائر، وهو ما نلاحظه في كتاب (جرجرة وعاداتها) للمؤلف هانوتو[1] وزميله[2].

ويلفت سعد الله إلى أن هذه السياسة لم تكن منفردة، بل كانت جزءا من مخطط استعماري موحد شمل المغرب العربي كله، تجلى في الظهير البربري[3] بالمغرب والمؤتمر الأفخارستي[4] بتونس في آن واحد، ومن هنا يرى أن أي دعوة تظهر اليوم في هذا الاتجاه مهما ادّعت البراءة، تبقى مثيرة للريبة لأنها تعيد استحضار ذلك الماضي.[5]

2-: موقف سعد الله من البربرية السياسية:

[1] هانوتو: ضابط فرنسي كان حاكما لزواوة واهتم بلهجتها، من أعماله كتاب في النحو التمشقي (لهجة الهقار)،انظر:سعاد حميدة، الاستشراق الفرنسي والثقافة الشعبية الجزائرية،**مجلة دراسات إنسانية واجتماعية**، الجزائر، المجلد11، العدد2، 2022، ص215.

[2] هزرشي بن جلول، الاستشراق والاحتلال الفرنسي للجزائر..أية علاقة، المرجع السابق، ص 203.

[3] الظهير البربري: قانون صدر في 16 ماي1930، تحت ضغط الحماية الفرنسية في المغرب الأقصى، يرتكز على التفرقة بين العرب والأمازيغ في الأمور التشريعية والمدنية، انظر: إسماعيل العربي، الظهير البربري في المغرب وسياسة فرنسا التقسيمية 16 ماي 1930، **المجلة التاريخية الجزائرية**، العدد 8، جوان 2018، الجزائر، ص 175.

[4] المؤتمر الأفخاريسيتي: انعقد بين 7 و11 ماي في قرطاج بتنسيق بين فرنسا والكنيسة، اعتبرته الصحافة الكاثوليكية (حملة صليبية) جديدة لإحياء المسيحية في إفريقيا، بينما عارضته الصحف الاشتراكية لأنه يخالف مبدأ العلمانية، ورفضته الصحافة التونسية بشدة باعتباره محاولة لطمس هويتهم الإسلامية. انظر: سعيدة عمان، المؤتمر الأفخاريستي الدولي الثلاثون بقرطاج (7-11ماي1930)، من خلال الصحافة الفرنسية والتونسية المعاصرة له، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، الجزائر، المجلد 7، العدد4، 2022، ص 628.

[5] محمد أرزقي فراد، المؤرخ أبو القاسم سعد الله والأمازيغية، من الإجحاف إلى الإنصاف، **دار الحبر**، الجزائر، 2016، ص 15.

من خلال الطرح الاستعماري السابق تبرز رؤية سعد الله نحو الأمازيغية، إذ حذّر بشدة مما أسماه (البربرية السياسية)، معتبرا إياها توظيفا سياسيا للقضية الأمازيغية يهدد الوحدة الوطنية ويرفض تحويلها إلى سلاح سياسي يُستخدم لتفتيت الهوية الوطنية وإعادة إنتاج الانقسامات التي زرعها الاستعمار، مشيرا إلى الدور الذي اضطلعت به الأكاديمية البربرية في فرنسا في بث هذه الأفكار وسط المهاجرين والطلبة الجزائريين في الخارج[1]، حيث كانت البيئة المناسبة لاستقبال هذه الأفكار والترويج لها بعيدا عن الرقابة الوطنية، كما حذر من بعض المؤسسات الثقافية كمركز كراب الذي كان يشرف عليه مولود معمري، هذا المركز الذي ضمّ عددا من الفرنكفونيين المهتمين بالبحث في أصول سكان الجزائر، إلى جانب قساوسة وباحثين أجانب لا تربطهم صلة مباشرة بالمجتمع الجزائري[2]. فضلا عن رفضه تعليم اللهجة البربرية بالفرنسية في الجامعة[3].

وفيما يخص الرموز التاريخية الأمازيغية القديمة، فقد انتقد سعد الله الدعوة إلى استحضار رموز كيوغرطة، موضحا أنه لا يصلح رمزا للوحدة الوطنية لاختلافه مع جزائري اليوم في اللغة والعادات والتقاليد و الدين[4]، فتوظيف هذه الرموز في نظره ليس استحضارا للتاريخ بل

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، مصدر سابق، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص ص 13- 14.

مولود معمري: ولد عام 1918 بمنطقة القبائل، تولى إدارة مركز الأبحاث الأنثروبولوجية بجامعة الجزائر حتى عام 1980، وإلى جانب إنتاجه الروائي المعروف، كثّف نشاطه في دراسة الثقافة واللغة الأمازيغية، من خلال التأليف اللغوي بإصداره كتابا متخصصا في قواعد اللغة البربرية عام 1976، فضلا عن التوثيق الشعري بإصداره ديوانا يحمل عنوان (أشعار قبيلة) عام 1980، انظر: فاطمة الزهراء عقال، "الرمزية في المجتمع القروي، روايات مولود معمري أنموذجا"، **مجلة المدونة**، الجزائر، المجلد 9، العدد 2، 2022، ص ص 545-546

[3] المصدر نفسه، ص 14.

[4] ال نفسه، ص 17.

محاولة لاقتطاع الجزائري من سياقه الحضاري الحقيقي وإعادة تعريف هويته على أسس عرقية ضيقة تخدم مشروع التفتيت الاستعماري.

3-: رؤية سعد الله للهوية الجزائرية ومكانة الأمازيغية فيها:

تنبثق مواقف سعد الله من رؤيته لنقطة الانطلاق الحقيقية للهوية الجزائرية الموحدة، التي يضعها عند الفتح الإسلامي لا قبله، معتبرا المرحلة ما قبل الإسلامية مرحلة انقسام وتشتت بين قبائل متفرقة لم تجمعها وحدة سياسية أو ثقافية راسخة تصلح أساسا للوحدة الوطنية المعاصرة[1]، فالإسلام في نظره هو الذي حرر الأجداد من التشرذم وأتاح لهم بناء دولهم وتسجيل تراثهم المجيد باللغة العربية التي غدت لغة العلم والفكر والحضارة في ربوع المغرب الإسلامي كله، ومن هذا المنطلق يقرأ تاريخ الدويلات الجزائرية والمغاربية كالرستمية والحمادية والمرابطية والموحدية والزيانية من زاوية واحدة، هي خدمتها للإسلام ونشره وحمايته، إذ يرى أن هذه الدول اكتسبت شرعيتها وأهميتها من خلال انتمائها الإسلامي وما أنتجه علماؤها من رصيد حضاري[2] لا من خلال انتمائها العرقي الضيق.

ويستند سعد الله في دعم موقفه إلى حجة تاريخية، وهي أن الأمازيغ أنفسهم هم من اختاروا العربية لغة رسمية وثقافية وعملوا على صونها والدفاع عنها، مستشهدا بقادة أمازيغ بارزين كابن تاشفين وابن تومرت وأبي حمو الثاني الذين كانوا في طليعة المدافعين عن

الحضارة العربية الإسلامية ومن أشد المتمسكين بها، ويلفت إلى أن المسلمين العرب حين وصلوا إلى بلاد المغرب وجدوا البيزنطية لغةَ السيادة والكتابة في حين لم يجدوا للأمازيغ لغة مكتوبة خاصة بهم[3]، "وظلوا إلى القرن الثامن الميلادي بدون تراث مكتوب بلغتهم"[4] بل و

[1] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، مصدر سابق، ص 18.

[2] أبو القاسم سعد الله، **في الجدل الثقافي**، مصدر سابق، ص 152.

[3] المصدر نفسه، ص 146.

[4] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث**، مصدر سابق، ص 205.

يذهب إلى الصلة الوثيقة بين البربرية والحميرية[1] والتشابه القديم بين الأمازيغ وبين العرب في الآثار ونمط العيش، مؤكدا وجود تأثير وتأثر متبادل بين الثقافتين سبق الفتح الإسلامي ذاته وأنهما يعودان لأصل واحد، مما يجعل الإسلام في نهاية المطاف عاملا عمق قرابة موجودة أصلا ولم يفرض انتماء غريبا على شعب بعيد عنه.

ثالثا: موقف سعد الله من كتابة تاريخ الثورة التحريرية:

كانت الثورة التحريرية بالنسبة لسعد الله أكثر من موضوع للدراسة، فهي لم تكن محطة قرأ عنها من بعيد بل حدثا عايش تفاصيله، إذ بدأ نشاطه الوطني قبل اندلاعها من خلال مساهمته في نشاط الطلبة الجزائريين بتونس منذ عام 1948، وترأس البعثة الزيتونية لجمعية العلماء سنة 1952[2] ولما عاد إلى الجزائر سنة 1954 اشتغل معلما في مدارس الجمعية، وفي سنة 1956 انخرط في فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي كانت جبهة التحرير تشرف عليه، وقام بتمثيل الطلبة الجزائريين في عدة محافل دولية في سنتي 1958 و1961[3]، جامعا بذلك بين المشاركة الفعلية والتعبير بالقلم في خدمة الثورة، وقد كانت هذه الثورة المحطة التي حوّلت مساره الفكري من كاتب مهتم بالأدب إلى مؤرخ مهتم بدراسة تاريخ الجزائر وتوثيقه.[4]

وفي دراسته للثورة التحريرية لا يعتبرها حدثا منفصلا بل امتدادا طبيعيا ومتواصلا للمقاومة الجزائرية، وقد خصص أجزاء من كتابه (الحركة الوطنية) ليثبت تراكم الوعي الوطني الجزائري

[1] المصدر نفسه، ص 202.

[2] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ د أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، مرجع سابق، ص 24.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، مصدر سابق، ص ص 178، 179.

[4] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2**، مصدر سابق، ص 235.

واستمراره عبر عقود من الزمن، ويرى أن انتصارها لم يكن وليد الظروف العسكرية فقط، بل جاء نتيجة بعث حضاري وفكري[1] سبقها ومهّد لنجاحها.

1-: موقفه من الكتابة المباشرة لتاريخ الثورة:

والمتتبع لمسيرة سعد الله العلمية يلفت انتباهه أنه على وفرة إنتاجه وتنوع اهتماماته، إلا أنه لم يتوقف طويلا عند تلك الفترة التي عاشها وشارك في صنعها، وعلى قدر أهمية الثورة وعظمتها إلا أن توثيقها لم يرق إلى مستوى تضحياتها، ويُرجع سعد الله ذلك إلى ظاهرة العزوف عن التدوين التي ميزت المجتمع الجزائري، فالجزائريون في نظره مقلون في الكتابة مقارنة بشعوب أخرى، وهو ما أثّر سلبا على حفظ ذاكرتهم التاريخية، فبينما نجد شعوبا أخرى تتناول حادثة صغيرة فتكتب عنها وتوثقها حتى تتحول إلى حدث إنساني لا ينسى، تُترك في الجزائر الأحداث الكبرى تتضاءل وتتلاشى بفعل الإهمال وغياب التدوين، وينطبق هذا على التأريخ للأبطال أيضا، فبينما تخلد الشعوب الأخرى زعماءها وتصنع من القائد المتواضع بطلا خالدا، نجد الجزائريين لا يحتفون بأبطالهم الحقيقيين ولا يمنحونهم المكانة التي يستحقونها، ومن هنا يرى سعد الله أن الاكتفاء بترديد الشعارات الوطنية الكبرى كثورة المليون شهيد دون الاهتمام بتوثيق أحداثها وتفاصيلها يجعل هذه البطولات مجرد شعارات لا حياة لها.[2]

وبالرغم من مساهمته الفعالة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، إلا أنه تجنّب الخوض المباشر في تفاصيل تاريخها السياسي والعسكري، ويذهب إلى أن طرح قضايا الثورة في مرحلة مبكرة أمر يستدعي التأني، لأن بعض القضايا إن طُرحت تتحول إلى عبء ضرره أكثر من نفعه، ومن الأفضل إبقاؤها بعيدة عن الأضواء ولو بشكل مؤقت حرصا على المصلحة العامة[3]،

[1] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ج4**، مصدر سابق، ص 14.

[2] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2**، مصدر سابق، ص 8.

[3] مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ د أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، مرجع سابق، ص 119.

وهذا الموقف في رأيه ليس خاصا بالجزائريين، فكل الشعوب تحتفظ بأسرارها تغليبا للمصلحة العامة، ويستدل على ذلك بأمثلة من تجارب شعوب أخرى، متسائلا عن الفائدة التي قد يجنيها الفرنسيون إن كشف مؤرخوهم المتعاملين مع النازية، أو الروس والألمان إن فتحوا أرشيفهم للمؤرخين[1].

ويُميّز سعد الله في هذا السياق بين نوعين من الكتابة التاريخية، فالتاريخ البعيد والقضايا المحايدة ميادين مفتوحة لا يجوز الاعتراض على البحث فيها إلا بأدوات العلم وحكم الضمير، لا سيما على مستوى الجامعة والبحث الأكاديمي، أما القضايا الحساسة القريبة زمنيا والمرتبطة بصانعين لا يزال بعضهم على قيد الحياة، فتستدعي حكمة في التوقيت قبل الإقدام على نشرها، ولهذا آثر أن يُسهم في وضع معالم المنهج الذي ينبغي أن تُكتب به، بدلا من الخوض في تفاصيلها مباشرة، وذلك لعدة أسباب:

أ- عائق الأرشيف والمصادر التاريخية:

تعتبر الوثائق الأرشيفية أساسا مهما في كتابة التاريخ لأنها تمكّن المؤرخين من دراسة الأحداث وتحليلها بشكل دقيق وموضوعي، وقد تعرضت الوثائق الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية للضياع والتشتت، فمع اقتراب نهاية حرب التحرير قامت السلطات الفرنسية بين سنتي 1961 و1962 بجمع الأرشيف من مختلف مناطق الجزائر ونقله إلى فرنسا دون التمييز بين أنواعه، بما في ذلك الوثائق التي تعود إلى ما قبل فترة الاستعمار، كما أُتلف جزء كبير منها نتيجة الحرق أو الإهمال أو النهب، ولم يكتفِ الاستعمار الفرنسي بمصادرة الوثائق ذات الطابع السياسي، بل قام أفراد منه بالاستيلاء على مخطوطات ووثائق قيّمة وزّعوها على مكتبات ومجموعات خاصة، وشمل النهب مجالات أخرى كالأسلحة والآثار التاريخية وجماجم

[1] المرجع نفسه، ص 120.

بعض القادة الجزائريين[1]، فضلا عن الاستيلاء على خزينة الدولة، ويُعدّ ما حدث لمكتبة الأمير عبد القادر خلال معركة الزمالة سنة 1843[2] مثالا بارزا على ذلك.

واعتبر سعد الله أن قلة الإمكانات المادية للاطلاع على الوثائق والمصادر[3] وغياب المادة الوثائقية المتكاملة يحول دون بلوغ الحقيقة التاريخية، فالأرشيف الموجود في فرنسا مقيّد بقوانين تمنع الاطلاع على الملفات الحساسة إلا بعد مرور فترات زمنية تصل إلى القرن[4]، ناهيك عن تعمّد الإدارة الاستعمارية إتلاف وثائق أخرى، أما في الجزائر فالوثائق مشتتة بين المراكز الوطنية والأفراد، كما رأى أن الاعتماد على المذكرات والشهادات الشخصية وحدها غير كاف[5]، ولا تزال مسألة استرجاع الأرشيف تمثل إشكالية قائمة، إذ تتباطأ فرنسا في إعادته لعرقلة قدرة الجزائر على إعادة تدوين تاريخها الوطني وتستعمله أحيانا ورقة ضغط في علاقاتها معها، في حين تواصل الجزائر مطالبتها باسترجاعه باعتباره جزءا من ذاكرتها الوطنية وحقا مدعوما بالقوانين والمواثيق الدولية.

ب- اشتراط الحرية في الكتابة:

يؤكد سعد الله أن أهم شرط لكتابة تاريخ موضوعي هو توفر الحرية، خاصة حرية التعبير والنشر، فالمؤرخ لا يستطيع أداء عمله إذا كان مقيّدا أو مضطرا لمراعاة حساسيات معينة لأن ذلك يدفعه إلى إخفاء بعض الحقائق أو تعديلها، ويقول في هذا الصدد: "إن الحرية -أعني

[1] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، ص 44.

[2] المصدر نفسه، ص 141.

[3] المصدر نفسه، ص 42.

[4] فضيلة علاوي، "الأرشيف الجزائري بين السطو الفرنسي ومعركة التحرير (1962-2022)"، الجزائر، **مجلة قبس**، المجلد 7، العدد2، 2023، ص 1462.

[5] مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، مرجع سابق، ص 210.

حرية التعبير والنشر – هي أعظم وسيلة، وكيف نطمح إلى الوصول إلى الحقيقة إذا كان على المؤرخ أن يداري أفكاره وآراءه وأن يشوّه الأحداث لكي يكون مقبولا؟[1].

ت– ضرورة المسافة الزمنية:

كما يرى ضرورة ترك مسافة زمنية معقولة[2] تفصل بين المؤرخ والحدث لضمان المعالجة الموضوعية، إذ يعتقد أن الكتابة في خضم الأحداث أو بعدها مباشرة تجعل الباحث متأثرا بالعاطفة[3] ومقيّدا برؤية صانعي الحدث خاصة إن كانوا لا يزالون أحياء، يضاف إلى ذلك أن الكشف عن بعض الحقائق والأسرار قد يثير اضطرابات سياسية واجتماعية، فضلا عن تخوّفه من أن تطغى تجاربه ومواقفه الشخصية على أمانته العلمية[4].

2–: طرق كتابة تاريخ الثورة

يرى سعد الله أن تاريخ الثورة يمكن كتابته بثلاث طرق:

أ– الطريقة الرسمية:

تعتمد على تدخل الدولة بشكل مباشر لتبنّي مشروع تدوين التاريخ والإشراف عليه وتوجيهه، وتقوم السلطة بتوفير الوثائق والإمكانات المادية التي يفتقر إليها المؤرخ، ليتم بعد إنجاز العمل نشره بشكل رسمي يمثّل وجهة نظر الدولة وروايتها المعتمدة.[5]

ب–الطريقة الشعبية:

[1] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2**، مصدر سابق، ص 239.
[2] مراد وزناجي، **مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله**، مرجع سابق، ص 258.
[3] مريم خالدي، الدكتور أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، مرجع سابق، ص 210.
[4] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2** مصدر سابق، ص 238
[5] أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، مصدر سابق، ص 39.

تمثّل جهدا جماعيا تشترك فيه مختلف شرائح المجتمع، إذ لا تقتصر مهمة التدوين فيه على المؤرخين الأكاديميين بل يتولاها الصحفيون والأدباء والسياسيون والقصاصون وحتى هواة التاريخ، وتنطلق هذه الطريقة من أن التاريخ ليس حكرا على الاختصاصيين، مما يسهم في جعل الأحداث التاريخية في متناول كافة أفراد الشعب بأساليب متنوعة وقريبة من الجميع.

ت- الطريقة العلمية:

يُسند هذا النوع من التدوين التاريخي إلى المؤرخين المحترفين والاختصاصيين بالجامعات، ويعتمد بشكل أساسي على المنهجية الأكاديمية والمصادر والوثائق المتوفرة، غير أن سعد الله اعتبر أن وقت هذا النوع من الكتابة لم يحن بعد بسبب العقبات المتعلقة بعدم توفر الوثائق الكافية وحساسية النتائج التي قد لا تُنشر إذا كانت تتعارض مع المصلحة العامة أو تضرّ بأطراف معينة. [1]

3-: المنهج المطلوب لكتابة تاريخ الثورة:

يؤكد سعد الله أن إعادة كتابة تاريخ الثورة لا تكون إلا بالاعتماد على المنهج العلمي القائم على الدقة والتحليل، وبما أن الثورة الجزائرية كانت حركة جماهيرية واسعة فإنه يرى أن المؤرخ لا يكفيه الاعتماد على الأدوات التي تتوفر لديه في الفترة التي عاشها وحدها، بل عليه الاستفادة من مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية كالسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا لفهم سلوك الجماهير وتفسير تعقيد الأحداث، وفي هذا السياق أكد أن الملتقيات الوطنية تؤدي دورا مفيدا في جمع الشهادات الحية من المشاركين في الأحداث وعرض تفسيرات متعددة للواقعة الواحدة،[2] وهو ما يثري المادة التاريخية ويوسّع زوايا النظر إليها، غير أن كتابة التاريخ

[1] المصدر نفسه، ص 39.

[2] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2 مصدر سابق، ص 236.

في نظره تتطلب من المؤرخ أن يبتعد عن أجواء النقاش الجماعي وضغط الآراء، وأن يعالج تلك المادة بهدوء وتأمل معتمدا على منهج علمي دقيق قائم على الموضوعية.

تكشف مواقف سعد الله من هذه القضايا عن مؤرخ جمع بين الانتماء الوطني الراسخ والقراءة النقدية المنضبطة للماضي، فلم ينكر ما أسهم به العثمانيون في بناء ملامح الدولة الجزائرية، ولم يتجاهل ما اقترفوه من إخفاقات، ولم يرفض الاعتراف بما تركته المدرسة الاستعمارية من مواد يصعب الاستغناء عنها رغم ما شابها من توظيف مغرض، وفي كل هذه المسائل كان يضع الجزائر وذاكرتها الوطنية في مركز اهتمامه، ساعيا إلى تحصينها بالمعرفة الموثّقة والرؤية النقدية المنضبطة.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة يمكن استخلاص مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- أبو القاسم سعد الله مؤرخ صنعته الظروف قبل أن يصنعه الاختيار، فقد نشأ في بيئة صحراوية محدودة الإمكانيات غير أنها كانت راسخة في قيم العلم والدين، وتنقّل في مسار تعليمي طويل امتد من كتّاب قمار إلى جامع الزيتونة فجامعة القاهرة فجامعة مينيسوتا، وهذا التنوع في التكوين هو الذي أعطاه تلك الرؤية الشمولية التي ميّزت كتاباته.

- لم يكن التوجه نحو التاريخ قرارا مبكرا مدروسا، بل جاء تدريجيا تحت تأثير تحولات حاسمة، أبرزها الثورة التحريرية التي جعلته يُدرك أن الكتابة في تاريخ الجزائر واجب وطني قبل أن تكون خيارا أكاديميا، وتجربة الغربة التي حوّلت الحنين إلى مشروع بحثي، وتحدي الكتابات الأجنبية التي شكّلت الدافع الأقوى لاستعادة الرواية الوطنية.

- أسهمت آثاره العلمية الغزيرة التي تجاوزت خمسين مؤلفا في مجالات التاريخ والأدب والترجمة والنقد في تأسيس صرح المعرفة التاريخية الجزائرية، وكانت موسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي في عشرة أجزاء التعبير الأوفى عن هذا المشروع.

- نظر سعد الله إلى الكتابة التاريخية باعتبارها مسؤولية أخلاقية وفكرية لا مجرد عمل أكاديمي، فهي في تصوره فرع من فروع المعرفة العقلية تقوم على الشك والموضوعية والاستناد إلى الوثائق، وعملية متجددة يُطالب كل جيل بإعادة قراءتها وفق أدواته ومتطلباته.

- وضع سعد الله للكتابة التاريخية شروطا صارمة في مقدمتها الحرية الكاملة في البحث والاستنتاج والنشر، والموضوعية في الفصل بين التوجهات الشخصية ومقتضيات البحث العلمي، وتوفير بيئة بحثية ملائمة، والتفرغ الكافي للتأليف، معتبرا أن غياب هذه الشروط هو السبب الرئيسي في تراجع الإنتاج التاريخي الجزائري.

– رصد سعد الله جملة من المعيقات التي حالت دون ازدهار الكتابة التاريخية في الجزائر، أبرزها غياب البيئة الحاضنة والمناخ الحر، وانفصال الجزائريين عن تراثهم وعزوفهم عن التدوين، وغياب المركزية الثقافية واللغة الموحدة عبر العصور، فضلا عن التناقض بين القول والفعل الذي طبع علاقة الجزائريين بكتابة تاريخهم.

– تميّزت منهجية سعد الله في الكتابة التاريخية بجملة من الخصائص المتكاملة، أبرزها الانطلاق من المنهج العلمي الأكاديمي الذي يرفض السرد الجامد ويقوم على التحليل والتفسير، والاعتماد على التحقيق الدقيق للمخطوطات والوثائق التي أمضى في البحث عنها سنوات بين مكتبات العالم، وتوظيف المقارنة كأداة للرد على المؤرخين الغربيين وإثبات حضور الجزائر في التاريخ الحضاري الإنساني، والتزام الموضوعية القائمة على الضمير الوطني الحر الذي يرفض التمجيد غير النقدي كما يرفض التجريح المتسرع.

– كشف موقفه من الوجود العثماني عن نضج منهجي واضح، فهو لم يصدر حكما قاطعا بل وازن بين الإيجابيات والسلبيات في ضوء السياق التاريخي، فأقرّ بدور العثمانيين في إنقاذ الجزائر من الخطر الصليبي وتأسيس ملامح الدولة الجزائرية، وانتقد في الوقت ذاته إهمالهم الثقافي والتعليمي وإقصاءهم للجزائريين من دوائر القرار، محددا المسؤولية بدقة ووضعها على عاتق أمية الحكام لا على الإسلام.

– أبدى سعد الله موقفا نقديا صارما من المدرسة الاستعمارية الفرنسية التي وظّفت التاريخ كأداة لتبرير الاحتلال وطمس الهوية الوطنية، دون أن يُغفل ما خلفته من إسهامات في جمع المصادر وحفظها وتنظيمها، وهو ما يعكس قدرته على الفصل بين النقد المنهجي والحكم المطلق.

– جاء موقفه من القضية الأمازيغية متسقا مع منهجيته ورؤيته الوطنية، فرفض (البربرية السياسية) بوصفها توظيفا استعماريا لتفتيت الهوية الوطنية، مؤكدا أن الفتح الإسلامي هو

نقطة الانطلاق الحقيقية للهوية الجزائرية الموحدة، وأن الأمازيغ أنفسهم اختاروا العربية لغة للعلم والحضارة وكانوا في طليعة المدافعين عنها.

– آثر سعد الله تجنّب الكتابة المباشرة عن تفاصيل الثورة التحريرية لأسباب منهجية وموضوعية، في مقدمتها شُح المادة الوثائقية جراء ما نهبته فرنسا من أرشيف جزائري، وضرورة المسافة الزمنية لضمان الموضوعية، وحرصه على تجنّب الانحياز الذاتي، غير أن ذلك لم يمنعه من وضع المنهج الذي ينبغي أن يُكتب به هذا التاريخ، ومن التحذير من خطر محو الذاكرة الوطنية.

– تنبثق مواقف سعد الله من القضايا التاريخية الوطنية من رؤية منسجمة مع منهجيته في الكتابة، فهو لا يُصدر أحكاما جاهزة بل يحتكم إلى الوثيقة والسياق التاريخي، ولا ينساق للعاطفة الوطنية بل يوازن بينها وبين الأمانة العلمية، ولا يتبنى الرواية الواحدة بل يقارن ويحلل وينقد، وفي هذا الانسجام بين المنهج والموقف تكمن أصالة مشروعه الفكري الذي ظل وفيا لمبادئه حتى آخر كتاباته.

الملحق رقم1: أبو القاسم سعد الله

المصدر: مريم خالدي، أبو القاسم سعد الله حياة وأعماله، مرجع سابق، ص 356.

الملحق رقم 2: بطاقة التعريف بمدينة قمار

CARTE D'IDENTITÉ

N° 7976 du registre-matrice

Territoire militaire de Tougyourt

Annexe d'El-Oued

TRIBU DE GUEMAR

Nom patronymique et prénoms

Sadaber Belgacem

Ben Ahmed

Age en 19 34 72 ans

ورقة التعريف ٧٩٧١

السدد من الدفتر الاصلي * وطن بيوت العسكري

مسلمة

عمرش قمار

الاسم النسبي والاسم الشخصي

لسعد الله بلقاسم بن الحسين

العمر في تمام ٧ سنين

IMP. ADM. A. MAUGUIN

المصدر: أبو القاسم سعد الله، حياتي، مصدر سابق، ص 399

الملحق رقم 3: شهادة تحصيل تونس 1954.

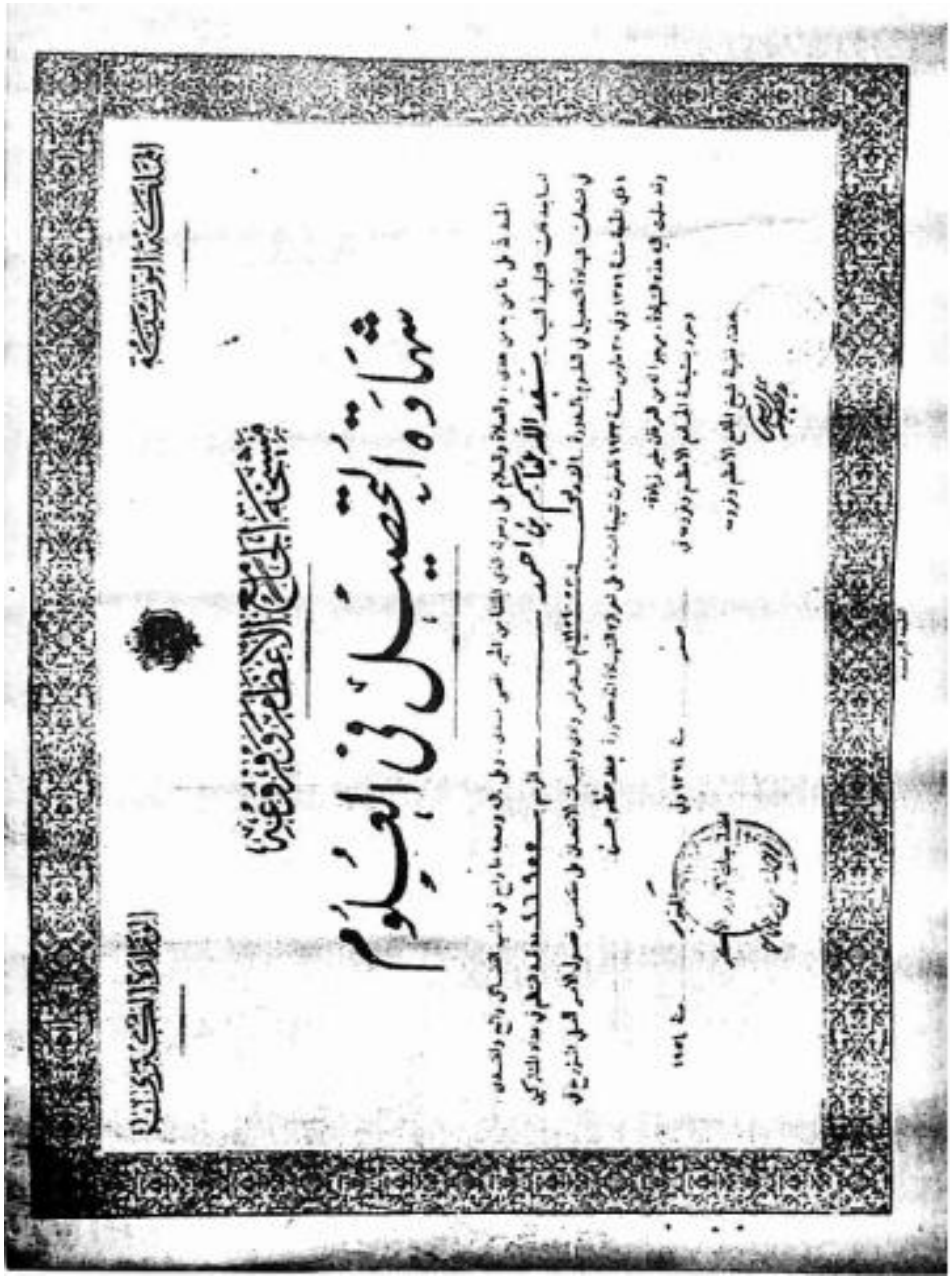

المصدر: أبو القاسم سعد الله، حياتي، مصدر سابق، ص 418

الملحق 4: شهادة ليسانس القاهرة 1959.

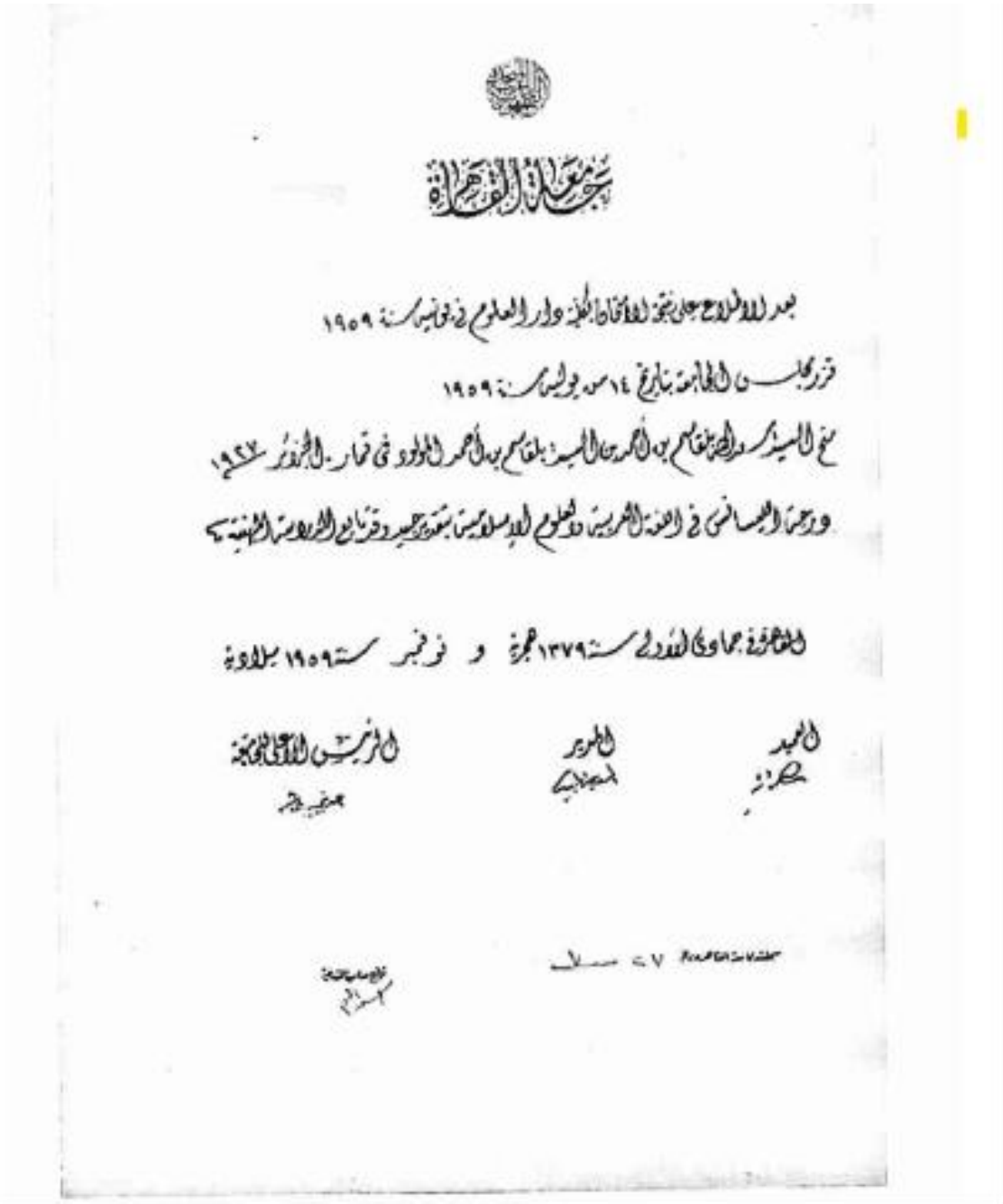

جامعة القاهرة

بعد الاطلاع على نتيجة امتحان كلية دار العلوم في ليسانس سنة ١٩٥٩

قرر مجلس الكلية بتاريخ ١٤ سبتمبر ليسانس سنة ١٩٥٩

منح السيد/ أبو القاسم سعد الله أحمد بن السيد: بلقاسم بن أحمد المولود في قمار في أكتوبر سنة ١٩٣٧

ورقم الجلوس في اللغة العربية وعلوم الإسلاميات بتقدير جيد وترتيب الثالثة الشهادة

القاهرة في جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هجرية و نوفمبر سنة ١٩٥٩ ميلادية

العميد — المدير — الرئيس الأعلى للجامعة

المصدر، أبو القاسم سعد الله، حياتي، مصدر سابق، ص 419.

الملحق5: خوف الجزائريين من التاريخ وكتابته.

س ـ في المحاضرة التي ألقيتها منذ عدة أسابيع بجامعة الجزائر، عالجت الخوف من التاريخ، هل في إمكانك أن تشرح الأسباب العميقة لهذا الخوف؟

ج ـ الخوف الذي قصدته فيه طرفان: صانع التاريخ والمؤرخ. أما الأول فإنه يخشى التاريخ إذا كانت صناعته للتاريخ غير وطنية أو غير أخلاقية أو حتى غير إنسانية. وأما المؤرخ فإنه بدوره يخشى التاريخ إذا لم يستطع أن يبوح بما في الوثائق.

وبشيء من التحليل نقول إن صانع التاريخ، وهو الإنسان، قد يكون زعيماً سياسياً أو قائداً عسكرياً أو مفكراً أو رجل دين أو حتى إنساناً عادياً. وهو يتصرف في زمنه تصرفاً عقلياً أحياناً وعاطفياً أحياناً أخرى، تارة يرعى الله والأخلاق والضمير، وتارة يتجاوز كل ذلك ولا يبالي. فإذا كان عمله منبثقاً عن إحساسه بالتاريخ (أي أن كل تصرف لا ينتهي بانتهاء الغرض الآني منه بل يظل مسجلاً له أو عليه) فإنه لا شك سيمسك نفسه عن الانحراف، وإذا أغفل حكم التاريخ فإنه لا شك أيضاً سينزلق.

وإذا كان كل صانع للتاريخ يخشاه فإن الذي أغفل حكمه أو

استهتر به يكون خوفه أشد فيحاول هو أو أحفاده أو أنصاره أن يكبتوا حكم التاريخ بكل الوسائل: بالتأجيل إذا أمكن، وبالتخفيف إذا كان ولا بد، وحتى بالإرهاب إذا لزم الأمر.

وأمام ذلك يصبح القاضي نفسه (المؤرخ) في خطر؛ ذلك أنه سيكون ممزقاً بين قناعته وبين الواقع. فإذا كانت القناعة المستمدة من الوثائق والملابسات والشهود الخ، تحثه على الاصداع بالحقيقة، فإن الواقع الخاضع للتوازنات والعلاقات العائلية والحزبية والدينية الخ، قد يجبره على كبت الحقيقة، وإلا عرض الواقع نفسه إلى الاختلال، وقد يعرض نفسه هو إلى الخطر.

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فإن تاريخنا نحن بالذات مليء بالانحرافات التي تجعل المؤرخ يقف وقفة المتأمل طويلاً قبل إصدار حكمه، وكثير من التصرفات الانحرافية لا تجد لها مبرراً سوى عدم الإحساس بالتاريخ في وقتها.

س ـ بناء على كلامك، فإن هناك الخوف من الأفكار، ومن الأحداث، ومن الأشخاص؟

ج ـ كما ذكرت لك فإن الخوف من التاريخ عملية مزدوجة الأطراف، سواء كان الأمر يتعلق بالأفكار أو الأحداث أو الرجال. ولعل أقسى أنواع الخوف هو الخوف من الأفكار، ذلك أن الأحداث تنتهي والرجال يموتون، أما الأفكار فهي حية أبداً.

المصدر: قضايا شائكة، مصدر سابق، ص 114

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب:

1-بن المبارك بن العطار أحمد، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

2-بن الهطال أحمد التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم،ط1 دار علام الكتب، القاهرة، 1969.

3-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1996.

4- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1996.

5-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1996.

6- سعد الله أبو القاسم، أفكار جامحة، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

7- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

8- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

9- سعد الله أبو القاسم، تجارب في الأدب والرحلة، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

10-سعد الله أبو القاسم، حبر على ورق، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

11- سعد الله أبو القاسم، حصاد الخريف، ط1، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

12- سعد الله أبو القاسم، حوارات، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

13- سعد الله أبو القاسم، حياتي، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

14-سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

15-سعد الله أبو القاسم، شعوب وقوميات، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008

16-سعد الله أبو القاسم، قضايا شائكة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

17- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

18- سعد الله أبو القاسم، منطلقات فكرية، ط2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.

ب-الجرائد والمجلات:

1- سعد الله أبو القاسم، "أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة"، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 51، 1979.

2- سعد الله أبو القاسم، "في الصميم: عن الكتابة التاريخية"، مجلة الثقافة، العدد 66، ديسمبر 1981، الجزائر.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

1-بوضرساية بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

2-ساحلي محمد الشريف، تخليص التاريخ من الاستعمار، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، محمد هناد،

3-عمار الطالبي،آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، المجلد1، ط3، 1997.

4-فراد محمد أرزقي، المؤرخ أبو القاسم سعد الله والأمازيغية، من الإجحاف إلى الإنصاف، دار الحبر، الجزائر، 2016.

5-وزناجي مراد، مفهوم التاريخ عند أبي القاسم سعد الله، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015.

6-وزناجي مراد، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، دار الحبر، الجزائر، 2008.

ب- الملتقيات والندوات:

1- أشغال الملتقى الوطني الأول الموسوم: الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني تحت شعار "للأمجاد أعلام وللتاريخ أقلام"، إصدارات وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، 2024.

2- أعمال الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخاً ومفكراً، يومي 13-14 ديسمبر 2016.

3- أعمال الملتقى الدولي الأول حول: قراءات إبستيمية في مناهج البحث العلمي عند العلماء العرب والمسلمين، ط1، دار الضحى، الجزائر، 2020.

ت-الأطروحات الجامعية:

1-خالدي مريم، أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، إشراف الدكتور إبراهيم لونيسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017-2018.

ث-المعاجم والموسوعات:

1 نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، د.ط، 1980.

ج-المقالات والجرائد:

1-أوكيل، مصطفى باديس، "دراسة في آراء وبعض مؤلفات أبو القاسم سعد الله"، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، العدد 3-4، خريف 2011- شتاء 2012.

2- بالحميسي، مولاي، "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 5، 1988.

3-بكاري، عبد القادر، "الجانب التاريخي في فكر الشيخ أبو القاسم سعد الله من خلال مقالاته في مجلتي الأصالة والثقافة"، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، العدد 13، 2014.

4-بلعربي، خالد، "المؤرخ أبو القاسم سعد الله ومنهجه في الكتابة التاريخية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 7، العدد 2، 2016.

5-بليل، محمد، "الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية"، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، المجلد 3، العدد 4، 2015.

6-بن أحمد، عطاء الله فؤاد، "من أعلام الفكر في الجزائر: الشيخ الطاهر محمد التليلي"، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 3، 2018.

7-بن جلول، هزرشي، "الاستشراق والاحتلال الفرنسي للجزائر.. أية علاقة؟"، مجلة المفكر، الجزائر، المجلد 8، العدد 1، 2024، ص 203.

8-بن الشيخ، حكيم، "الدكتور أبو القاسم سعد الله رائد المدرسة التاريخية الجزائرية وباعثيها"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الجزائر، العدد 2، ديسمبر 2016.

9-بن شوش، محمد، "الغزو الفكري للجزائر (1830-1870)"، مجلة المصادر، الجزائر، العدد 18، 2008.

10- بن لعلام، محمد الصغير، "الأستاذ أحمد توفيق المدني الصحفي والمؤرخ"، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، العدد 14، 2008.

11- بن يغزر، أحمد، "فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله"، مجلة البحوث التاريخية، الجزائر، العدد 3، جانفي 2018.

12- بنيرد، حاج، "التنوع اللهجي في الجزائر والاحتلال الفرنسي (روني باسييه ووليام مارسيه أنموذجا)"، مجلة معالم، المجلد4، العدد1، 2012.

13- بوسليم، صالح، "رصد بيبليوغرافي لمسيرة الأستاذ أبو القاسم سعد الله"، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 7، 2014.

14- بونابي، الطاهر، "منهج أبي القاسم سعد الله في كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط (القسم الأول: مستوى التاريخانية)"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 4، 2016.

15- حسونة، عبد العزيز، "عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف، مدينة قمار نموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد 22، 2015.

16- حميدة، سعاد، "الاستشراق الفرنسي والثقافة الشعبية الجزائرية"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، المجلد11، العدد2، 2022.

17- حني، محفوظ، "مواقف الدكتور سعد الله من التواجد العثماني في الجزائر"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، المجلد 23، العدد 2، 2023.

18- حنيفي، هلايلي، "التأريخ لمسار قلم: أبو القاسم سعد الله مؤرخا لعلاقة التفاوت والتاريخ من خلال المذكرات والاعترافات"، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 7، ديسمبر 2014.

19- خالدي، مريم، "السيرة والمسيرة العلمية للدكتور أبو القاسم سعد الله"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد 9، جوان 2016.

20- "الدكتور أبو القاسم سعد الله، شيخ المؤرخين وقدوة الباحثين رحمه الله"، الدكتور-أبو-القاسم-سعد-الله-شيخ-المؤرخ/https://guemar.org

21- رحماني، فاطمة الزهراء، "الرمزية في المجتمع القروي، روايات مولود معمري أنموذجا"، مجلة المدونة، الجزائر، المجلد 9، العدد 2، 2022.

22- رحماني، فاطمة الزهراء، ودراج، محمد، "مساهمة النخبة الجزائرية في كتابة التاريخ الوطني من خلال مجلة الأصالة"، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 10، العدد 4، 2018.

23- زاهي، محمد، "أبو القاسم سعد الله ومساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري"، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 7، ديسمبر 2014.

24- زناتي، أنور محمود، "المستشرق الفرنسي ليون جوتييه (1862-1994) ودوره في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب"، مجلة دراسات استشراقية، العدد 37، 2024.

25- سالمي، مختار، "أبو القاسم سعد الله، المؤرخ والمحقق والمترجم"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، المجلد 23، العدد 1، جويلية 2022.

26- شيكو، يمينة، "تفسير التطور الحضاري عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي"، مجلة الأصالة للدراسات والبحوث، الجزائر، المجلد1، العدد1، 2019.

27- صغير، فاطمة، وبلحاجي، فتيحة، "مساهمة محمد العيد آل خليفة في الحفاظ على الهوية الوطنية"، مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، المجلد 4، العدد 2، 2020.

28- عبيد، مصطفى، "النشاط الثوري لأبي القاسم سعد الله"، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، العدد 13، 2014.

29- عبيدي، محمد شوشاني، "ترجمة العنوان عند سعد الله"، مجلة المترجم، الجزائر، المجلد 12، العدد 2، 2018.

30- العربي، إسماعيل، "الظهير البربري في المغرب وسياسة فرنسا التقسيمية 16 ماي 1930"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 8، 2018، الجزائر.

31- عسول، فاطمة، وحمادة، حمزة، "أبو القاسم سعد الله من السيرة الذاتية إلى المسيرة العلمية -وقفات وقراءات في أعمال أدبية مختارة-"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 11، 2022.

32- عقال، فاطمة الزهراء، "الرمزية في المجتمع القروي، روايات مولود معمري أنموذجا"، مجلة المدونة، الجزائر، المجلد 9، العدد 2، 2022.

33- علاوي، فضيلة، "الأرشيف الجزائري بين السطو الفرنسي ومعركة التحرير (1962-2022)"، الجزائر، المجلد 7، العدد 2، 2023.

34- عمان، سعيدة، "المؤتمر الأفخاريستي الدولي الثلاثون بقرطاج (7-11 ماي 1930)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، المجلد 7، العدد 4، 2022.

35- عويمر، مولود، "الأوقاف وتنمية المجتمع"، جريدة البصائر، الجزائر.

36- عويمر، مولود، "جهود الدكتور أبي القاسم سعد الله في تحقيق تراثنا التاريخي"، جريدة البصائر، https://elbassair.dz/31125

37- عويمر، مولود، "نشاط الطالب أبو القاسم سعد الله في مصر والولايات المتحدة الأمريكية (1955م-1962م)"، جريدة البصائر، 22 ماي 2018. https://elbassair.dz/2888/

38- عيفة، الحاج، "السيرة الذاتية لشيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله"، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، العدد 4، 2015.

39- غربي، الغالي، وفشار، عطاالله، "المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر"، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، العدد 26، 2017.

40- لطرش، حنان، "السياسة الدينية الفرنسية وتأثيرها على المجتمع الجزائري من خلال كتاب روبير أجيروان الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، المجلد 8، العدد 2، 2009.

41- لعرج، جبران، "أبو القاسم سعد الله: الإنسان والباحث من خلال الشهادات"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 7، العدد 2، ديسمبر 2016.

42- لعرج، جبران، "تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، المجلد 7، العدد 3، ديسمبر 2021.

43- لونيسي، رابح، "العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي لأبي القاسم سعد الله"، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، العدد 13، 2014.

44- متاجر، صورية، "كتابات أبو القاسم سعد الله في مجلة الثقافة"، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 11-12، 2016.

45- مزرعي، سمير، "الكتابة التاريخية عند المؤرخ أبي القاسم سعد الله بين المنهج التأملي والمنهج التحليلي النقدي"، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، المجلد 9، العدد 3، 2019.

46- همال، عبد السلام، "المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830-1962) الأسطورة القبائلية البربرية نموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، العدد 8، 2015.

47- "وفاة شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله"، الشروق اليومي، 14 ديسمبر 2013.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

أ- الكتب:

1 Bullard, A., Exile to Paradise: Savagery and Civilization in Paris and the South Pacific, 1790–1900, Stanford University Press, Stanford, 2000.

2 Lapène, R., Vingt-Six Mois à Bougie, Anselin, Paris, 1839.

3- Masqueray, E., Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie, Ernest Leroux, Paris, 1886.

4- Naylor, Phillip C., France and Algeria: A History of Transformation, University Press of Florida, Gainesville, 2000.

ب- المقالات

1- Fenwick, Corisande, "Archaeology and the Search for Authenticity: Colonialist, Nationalist, and Berberist Visions of an Algerian Past", in C. Fenwick, M. Wiggins and D. Wythe (eds.), TRAC 2007: Proceedings of the Seventeenth Annual Theoretical Roman Archaeology Conference, London 2007, Oxbow Books, Oxford, 2008.

2- Hannoum, Abdelmajid, "Writing Algeria: On the History and Culture of Colonialism," The Maghreb Center Journal, no. 1, 2010

ت- الأطروحات الجامعية

3- Calvet, Rosalie, A Critical Approach to the French Historiography of Colonial Algeria: Thwarting the Other, MA Thesis, Columbia University, 2017.

فهرس الموضوعات:

مقدمة	**1**
الفصل الأول: المؤرخ أبو القاسم سعد الله حياته وإسهاماته العلمية	6
أولا: مولده ونشأته	8
1-اسمه ونسبه	8
2-نشأته	9
3-وفاته	11
ثانيا: تكوينه العلمي	11
1-التعليم القرآني.	11
2-رحلته العلمية إلى الزيتونة.	12
3-العودة إلى الوطن والتوجه نحو القاهرة.	15
4-رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية	19
5-العودة إلى الجزائر والالتحاق بالجامعة	21
ثالثا: نشاطاته وإسهاماته العلمية	22
1-مساره المهني والإداري	22
2-مشاركاته العلمية	24
3-مؤلفاته	27
الفصل الثاني: منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ أبي القاسم سعد الله.	36
أولا: الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله	38
1-مفهوم الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله .	38
2-دواعي اهتمامه بالكتابة التاريخية.	40
3-العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي عند أبي القاسم سعد الله.	43

ثانيا: شروط الكتابة التاريخية ومعيقاتها عند أبي القاسم سعد الله.	44
1-شروط الكتابة التاريخية.	45
2-معيقاتها.	46
ثالثا: خصوصية منهج الكتابة التاريخية عند أبي القاسم سعد الله.	50
1-تشكل منهج الدكتور أبي القاسم سعد الله وتطوره.	50
2-أسس منهج الكتابة التاريخية عند أبي اقاسم سعد الله.	52
3-الأدوات المنهجية المعتمد عند أبي القاسم سعد الله.	54
4-السمات المميزة لمنهجه في الكتابة التاريخية.	58
5-أسلوبه في الكتابة.	60
الفصل الثالث: موقف أبي القاسم سعد الله من بعض القضايا التاريخية.	63
أولا: موقفه من الوجود العثماني في الجزائر.	65
ثانيا: موقفه من كتابات المدرسة الاستعمارية.	72
ثالثا: موقفه من الأمازيغية.	81
رابعا: موقفه من الأمازيغية.	86
الخاتمة.	93
الملاحق.	96
قائمة المصادر والمراجع.	102